

روايات مصرية الجيب

33

زولو

د. أحمد خالد الزنوف

سافاري

Looloo

www.dvd4arab.com



مقدمة

اسمى (علاء عبد العظيم) .. طبيب مصري شاب يجاهد
- كما يقول الغلاف - كي يبقى حياً ويبقى طبيباً ..

وحدة (سافارى) هى البطل الحقيقى لهذه القصص ،
(سافارى) مصطلح غربى معناه (صيد الوحوش فى
أدغال إفريقيا) وهو معرف عن لفظة (سافرية) العربية ..

لاحظت أن أكثر الأصدقاء يضيفون حرف ألف بين الراء
والياء لتحول الكلمة إلى (سافاراي) .. لا أعرف فى
الحقيقة سبب هذا الخطأ ، لكنه خطأ شائع شبيه بتلك الألف
الشيطانية التى يكتبها الجميع بعد (واو) ليست (ولو
جماعة) على غرار (أرجوا الهدوء) . ولو كنت ترغب
فى معرفة النطق الغربى للفظ (سافارى) فلتتخيل أنها
(صافرى) بفتح الصاد والقاء ..

وحدة (سافارى) التى نتكلم عنها هنا لا تصطاد الوحوش
ولكنها تصطاد المرض فى القارة السوداء ، وسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى وأهل متشككين وبينة لا ترحم ..

● روايات مصرية للجيب .. سافارى

لوحة دولية لكن بطلكم الفقير المعترف بالعجز والتقصير
شاب مصرى عادى جداً ، فقط وجد كثيراً من عوامل الطرد
فى وطنه فأتلقى يبحث عن فرصة فى القارة السوداء ..
أتلقى يبحث عن ذاته ..

هناك وجد التقدير .. وجد المغامرة .. وجد الحب ..
الطبيبة الكندية الرقيقة (برنات جونز) التى صارت
زوجته .. ثم هناك الفيروسات القاتلة والقبائل المعادية
والمرتزقة الذين لا يمزحون ، والطماء المخابيل وسارقى
الأعضاء ..

هناك - كما قلنا - من العسير أن تجمع بين شيئين : أن
تظل حياً وتظل طبيباً .. لكنك تحاول .. فى كل يوم
تحاول ..

هذه المحاولات هى ما أجمعه لكم وأقصه لكم فى شكل
قصص .. وقصصى هى خليط عجيب من الطب والميتافيزيقا
والرعب والعواطف والسياسة ! لا أعرف إن كان هناك
مجنون آخر قد جرب أن يصب هذا الخليط فى كنوس ويقدمها
لكم ، لكنى لم ألق هذا المجنون بعد إلا فى مرأتى ..

تعالوا نبدأ وسنقدم كل شيء ..

الليلة الأولى

مرحباً بكم ..

أنا (كوتانجا) الذى تعرفونه باسم (مزى) ..

ليس من بينكم إلا من يعرفنى ويحب قصصى ..

(مزى) .. الرجل العجوز الحكيم بلفة السواحلية ،
الذى يملك زاناً لا ينفد من القصص .. من أجل هذه
القصص تصبرون يوماً بأكمله على الفقر .. على السقب ..
على القيق .. على تقلبات السياسة ؛ لأنكم تعرفون يا أهل
(مومباسا) أنه عندما يأتى المصاء سيكون (مزى) جالساً
على جذع السندبلة المقطوع وهو يمضغ التبغ ويحكى ..

لا شيء يعطل قصص (مزى) العجوز ، لذا يحرص الرجل
على أن يأتوا له بهدية ما .. قطعة من اللحم الطرى ..
بعض الكاسافا .. كيس مطعم بالتبغ .. هناك من عرض
على عروستا صغيرة السن ، فضحكت كثيراً حتى غلبنى
السعال .. أنا قد تزوجت عشرين امرأة لكنى الآن قد تجاوزت
المائة ، ولم يعد لى فى النساء مارب إلا أنهن يطعننى ..

لم تعد لدى أسنان إلا هذه .. وهذه .. لكنى أصنع بهما
الأعاجيب .. وبهما أقضم فخذ الثور ..

فى وجهى يمكنك أن ترى قصصى كلها .. نعم .. ليس
للسرد بمهنة من لا مهنة له .. السرد سر .. فن فى حد ذاته ..
نغمة صوتى تطو وتهبط .. تتسع وتضيق .. عيناى
تجحطان ثم تغوران .. أناملى تفعل ما يفعله أبطال القصة ..

يمكنك أن تشعر بالأسد (جابالجا) قادما من وراء هذه
الأشجار .. يمكنك أن تسمع هسهسة خلخل الفاتنة (موجقا)
وهى تتسلل فى الظلام لتلتحق بحبيبها .. يمكنك أن تسمع فحيح
الأفعى .. يمكنك أن ترى رقصة للمساي وهم يشبون فى الهواء
مطرودى القامة حتى ليوشكوا على ملامسة القمر ..

سوف تعبث القصة برؤوسكم ، وسوف تسكرون من
هذه الخمر للحلال .. حتى تصلوا لفروة النشوة فتلقوا رماحكم
على الأرض وتصبحوا صيحة رجل واحد :

- « مزى !! »

عندها أهدأ قليلاً وأخذ جرعة أخرى من الماء .. لقد
علمتني السنون أن القصة الجيدة تقتل القصة الجيدة ..

يجب أن أنتظر حتى يزول مذاق القصة السابقة من أفواهكم
قبل أن أحكي الأخرى ..

هذا الصغير ؟ إنه (مجولوا) .. دعوه قريباً منى .. إنه
يصفى للحكايات كلها .. وسوف يحفظها جميعاً .. ويوماً ما
سوف يقصها على أولادكم أو أحفادكم .. إن عظمى قد
شاخت ولسوف ألحق بالأجداد قريباً ؛ لهذا يصعب على أن
يموت هذا التراث معى ..

منذ أشهر جاء هؤلاء الغريبون من القنارة الجغرافية
القومية ، وجلسوا يسجلون لى بعض حكاياتى .. ثم طلبوا
من فتيات القرية أن يرقصن رقصات الموت والميلاد ..
وقاموا بتسجيل هذا كله بالكاميرا .. نفس السبب
الذى يدفعنى لتعليم هذا الصغير : الخوف من قنثار كل هذا
التراث الرقيق .. هل الحياة تتحسن ؟ لا أرى .. لم يعد
الأطفال يموتون بكثرة كما كان فى الماضى .. لكن الجوع لم
يزل والفقر لم يزل .. فى الماضى كانت الحكايات أجمل
والليالى أجمل والفتيات أجمل ..

كان لحكاياتى مذاق أجمل .. لا أكرر هذا .. كنت
أحكى عن أبى السموات (أومفانينكتجى) .. أحكى عن

(أولاكتيقا) القزم و(إتولو) السحلية الشبيهة بالإنسان ..
 و(تيكولوشى) الذى هو نصف إنسان .. له رجل واحدة
 وفراع واحدة .. لو هزمه إنسان لعلمه كل أسرار السحر ..
 لكن من المستحيل للأسف أن يحدث هذا ..

هل سمعتم أشياء كهذه من القبائل ؟ إتنا اليوم نحكى عن
 (الزولو) فلا غرابة فى أن أسترجع بعض أساطير
 الزولو .. لكننى اليوم لن أحكى أساطير ..

والآن .. هل جئتم جميعاً ؟

هل أحضرتم لى الصعوط والتبغ ؟ جميل .. جميل .. هناك
 عادة تعلمتها هى مضغ البن .. تعلمتها من رجل أبيض
 ووجدتها ممتعة .. فى الليلة القادمة هاتوا لى بعض البن ..
 هه ؟ لا تنسوا ذلك ..

فليجلس الأطفال على غصون هذه الشجرة القريبة ،
 ولتجلس النساء فى الدائرة الخارجية أما الرجال فهم
 أمامى متسعة عيونهم منقطعة أنفاسهم ..

إن (مزي) سيحكى لكم قصة أخرى ..

حكيت لكم في المرة السابقة عن (علاء عبد العظيم) ..
 طبيب مصري من بلاد النيل .. هناك قوم عمالقة اسمهم
 (الفراعنة) ولديهم وحش نصفه أسد ونصفه امرأة يجول
 حول الأهرام التي دفن فيها الملوك العظام .. اسمه (أبو
 الهول) .. هذا الوحش يلتهم العذارى ؛ لذا يقدمون له فتيات
 كل عام على سبيل القربان .. ألا تصدقونني ؟ أنتم أحرار
 في ذلك .. أنا لم أر مصر تلك ، ولن أراها لكني أعرف كل
 شيء ..

(علاء عبد العظيم) ما زال في (سفاري) بـ (الكاميرون)
 وما زالت زوجته الرقيقة اللطيفة (برنات) معه .. رأيت
 الخاص أنهما متحابان .. صحيح أن الخلافات تأتي لكنهما
 يسمحان لها بالرحيل .. من البشر من يتمسك بالخلافات
 ويدعوها للبقاء ويقدم لها العشاء .. لكنهما أكثر حكمة لو أكثر
 مذاجة من أن يفعلا هذا ..

في المرة السابقة حكيت لكم عن أن الزوجة كانت حاملاً .. لم
 تستطع الاحتفاظ بهذا الجنين وفقدته في ظروف مؤسفة ،
 ومنذ ذلك الحين لم يظفرا بطفل آخر .. إن خصوبة الرجل
 الأبيض تحيرنا نحن السود .. إن الأطفال يأتون دون إرادتنا

ودون أن نخطط لذلك ، وباعداد تفوق الحصر .. أما هم فطفل أو طفلان .. هذا أقصى ما يمكن أن يحلموا به ..

إن (علاء) فى مازى لأن إدارة (سافارى) طلبت منه أن يرحل على سبيل الإعارة إلى وحدة (سافارى) فى جنوب إفريقيا .. وهو لا يحب هذا .. لكنه بعدما مر بمغامرة الأبقار تلك وجد أنه مرغم على الرحيل .. فى الحقيقة هو لم يحب كثيراً تلك الجو الملبد بالغيوم من حوله .. إن (فرويندى) ليس بالخصم الهين .. وكراهيته تغنى أن تمشى وأنت تتلفت حولك فى قلق .. لكنه كذلك لم يرد أن يترك زوجته وحدها ..

الإدارة لا تسمح له بذلك .. لا يمكن اصطحاب (برنات) .. نحن بحاجة إليها هنا .. هناك طريقة ممتازة لحل المشكلة هى أن تستقيل هى ، ثم تصحبها على نفقتك ! طريقة ممتازة أخرى هى أن تستقila معا .. هناك حل عبقري يتلخص فى أن تطلقها وتذهب وحدك .. فلن تقلق عليها بعد هذا ..

طبعاً كل هذه الحلول لم تبد عملية بالنسبة لـ (علاء) .. وكان غراب البين فى الموضوع هو (باركر) نائب المدير الذى جعل (علاء) يتمنى لو علقت أيام القتال ضد الإنجليز ..

كان أول شيء سيفطه هو أن يضع قبلة تحت مقعد
(باركر) هذا فينفر ، ويهتف (علاء) : تحيا مصر !

قالت له (برنالت) دامة :

— « اذهب ولا تخش شيئا .. سوف أبقى حية .. لقد
برهنت عن أنني على ذلك قلادة » .

السبب في نموعها أنها تحبه حقاً ، وأنها كانت تتمنى لو
سافرت معه .. حتى اللحظة الأخيرة كانت تتوقع هذا .. لكن
يبدو أن طب الأطفال متقدم في جنوب إفريقيا فعلاً ..

وضع أنامله على شكل قمع تحت نكتها ، وقال :

— « سوف تعودين للإقامة في الوحدة .. لا أريد أن تكوني
وحدك في هذا البيت المفزع .. »

— « نعم .. نعم »

للمشكلة معها هو أنه يتخيلها يوماً وقد بالغت في جرأتها
أو تحامقت .. هذا يثير حفيظته حتى ليوشك على تحطيم
رأسها لو استطاع ..

- « لو لاحظت أى شيء مريب فلا تتردى فى إبلاغ
الشئ .. المدير .. هو سيتصرف »

قلت وهى تعصر أرنبه أنه مداعبة :

- « لا تكن طفلاً .. (هروندى) هذا إن يقتلى لك فرغت
لكولا فى وجهه »

- « أعرف .. لكنه يمكن أن يجعل حياتك جحيماً .. »

هكذا استعد طبيبنا للسفر إلى وجهته الجديدة ..

وجهته التى يعرف أنه سيقضى فيها ستة أشهر على أقل
تقدير ..

فى يوم ما منذ زمن قديم سافر طبيب صبرى شلب ومشاهب
إلى ذات الوجهة .. الطبيب كان بريطانياً وكنت زوجته معه ..
كان اسمه (بروس Bruce) وقد اكتشف (لترينوسوما)
التى تسبب مرض النوم .. فلماذا عن طبيبنا الشلب يا سادة ؟

بمناسبة النوم .. عيونكم قد احمرت وأعتقد أن الوقت قد
حان .. غذا نستكمل هذه القصة ..

(*) للهاء الإنجليزي من عدى وليس من ضد (مزى) .. فقط
هى لا أخرق السياسة التى التزمت بها فى القصص ..

الليلة الثانية

مرحباً بكم ..

هبطت الطائرة التي تقل (علام) في مطار (دربان Durban) .. إن للمدينة تملك مطاراً ثانياً حديثاً .. والمدينة نفسها جميلة بحق .. كان يعتقد أنه لم ير أجمل من (نيروبي) ، لكن هذه البلدة فاقت تصوراته .. لم لا ؟ إنها مركز مهم .. بها مطار وتلتقي عندها خطوط حديدية عدة ..

هذا بالطبع لم يسهم كثيراً في تحسين مزاجه المتعكر ، ولا شعوره بأنه منفي فعلاً .. إنه الآن عند نهاية إفريقيا من ناحية الجنوب .. لو انزلت قدمه لسقط في المحيط الهندي ..

المهم كذلك أنه في (النقال) بالذات .. هذا هو مركز (النقال Natal) و (الكوازولو KwaZulu) اللذين امتزجا منذ عام ١٩٩٤ ليصيرا شيئاً واحداً .. هنا توقفت سفن

(فاسكو دا جاما) يومًا في ليلة كريسماس فأطلق على المكان اسم (ناتال) .. ما العلاقة ؟ (ناتال) بالبرتغالية تعني (كريسماس) .. حسبت هذا واضحًا .. لا تنسوا أنني (مزي) ، والد (مزي) يعرف كل شيء ويستنتج البقي ..

هنا كذلك جامعتان عتيقتان هما جامعة (الناتال) وجامعة (دربان) .. إن هذه المدينة كانت مرفأ صغيرًا ، ثم اكتشف الذهب عام ١٨٨٤ فتحولت إلى مدينة كبيرة .

هذا المكان على المرفأ هو ما يطلقون عليه (رصيف الحيتان) .. هل ترونه بعين الخيال ؟ هنا كانوا يلقون بالحيتان الصلابة التي اصطادوها كي يقوموا بتمزيقها .. يأخذون منها الزيت واللحم والسماذ .. في وقت من الأوقات كانوا يمزقون ٣٠٠٠ حوت سنويًا ، إلى أن حددت القواتين هذه العملية قبل أن تنقرض الحيتان .. أنتم لا تعرفون الحوت .. هذا طبيعي بالنسبة لكم .. لكن لا بد أن أخبركم بما أعرف ..

لجو غريب جدًا .. لو شئت الدقة لقلنا إنه بالضبط جو بلدة مصر في شهر يناير .. مزيج من الاعتدال والبرد الخفيف .. لا عجب ومدرس الجغرافيا قد قالها ألف مرة في المدرسة الإعدادية : « مناخ جنوب إفريقيا وبالذات إقليم (الكيب) مناخ بحر أبيض متوسط » .. فإذا اعترضت لأن البحر المتوسط

بعد جداً ، تلقيت عصا على أطراف أصابعك وجررت من
لنتك إلى مكتب الناظر ..

وحدة (صفاري) تقع خارج (بريان) ، وأنتم تعرفون
أنها لا توجد في المدن الكبرى أبداً ، لأنها تعامل كمصدر
محتمل للوباء .. في (الكامبيون) تقع خارج (أجنواويري) ..
هنا تقع قرب (بريان) وهي وحدة متوسطة الحجم ..
ليست مركزاً عملاقاً كالذي رأيناه في (كينيا) ، ولا مركزاً
كبيراً كالذي في (أجنواويري) .. لكن ليس بوسعه أن
تدعي أن الحياة هنا أعتد أو أصعب .. في الواقع للبلاد
متقدمة جداً ..

مدير الوحدة إفريقياي يدعي (باتينجا بايلا) .. يكتورا في
أمراض العيون من جنوب إفريقيا .. من الصعب أن يرأس
لوحة طبيب غربي لأن الصلابة عالية جداً هنا لأمر كهذه ..

كان لشيب لشعر له شارب أبيض كث مع بشرته السمراء
لداكنة ، مما أعطاه تأثيراً طريفاً كأنه ثمرة بانتيان الصقوا
عليها قطعاً من القطن الأبيض ، وكان أليفاً يتكلم إتجنيزية
ممتزة ، وقد سره أن (علام) يجيد الإنجليزية والفرنسية ..

صالحه وقال له :

- « مصري ! يصرنى أن أستقبل إفريقيا هنا .. أنا من (الزولو) ! »

نظر له (علاء) فى دهشة .. نظر لربطة عنقه وبنته الأنيقة .. ويسدو أن الكاره كانت عالية ، إلى حد أن الرجل سمعها لقال :

- « الزمن يتغير .. لو توقعت أن تجد رئيس قويدة يلتف بجلد لتمر ويرقص بالرمح ، فكنت مخطئ .. (الزولو) مجرد صفة عرقية ، لكن الصورة القديمة قد اختلفت بالتأكيد .. بالمناسبة لا يخفى عليك أنك فى معقل الزولو .. »

ثم أضاف وهو يمهز بعض أوراق بتوقيعه :

- « سوف تقابل هنا حشداً من الجنسيات .. الهوتنتوت .. البريغتين .. الآسيويين .. قبائل (البوشمن Bushmen) و (الهوتنتوت) .. لكنى أنكره بشيء واحد : لا تنق بأحد .. الجريمة هنا تبلغ أعلى معدل لها فى العالم .. هناك ٢٣٠٠٠ حادث قتل وسطو وسرقة فى العالم الماضى فقط ! »

أطلق (علاء) صغارة من فمه .. معنى هذا - لو كان صحيحاً - أن هؤلاء القوم مشغولون جداً .. لو كانوا يصحون

صباحًا أيعكفون على السرقة والقتل بلا توقف حتى المساء
فلن يحققوا هذا الرقم .. إن المشاهدة تشير الإعجاب حقًا ..
أشياء كهذه تشعرك بالخجل من خمورك ..

— « السبب هو الفقر .. هنا طبقتان : إحداهما فاحشة
الثراء والأخرى بالغة الفقر .. بينما (الفلتر) المدعو
بالطبقة الوسطى لا وجود له تقريبًا .. أنت تعرف دور
قضبان (الجرافيت) في المفاعلات النووية .. إنها تحمي
المفاعل من الإشعاع الزائدة .. هنا لا يوجد جرافيت ولا
طبقة وسطى .. الخلاصة هي ألا تجول وحدك في الشوارع
قرب المساء ولا تثق بمن يعرض عليك خدماته .. هل
تتعاطى أكراس للوقاية من الملاريا ؟ وهل تعرف سبل الوقاية
من مرض النوم ؟ جميل .. جميل .. صالاداشي »

كان (علاء) نكيًا فلم يتوقف عند لفظة (صالاداشي)
هذه إنما أضافها لقاموسه على الفور .. فمناها حتمًا هو
(في حفظ الله) أو (وداعًا) بلغة الزولو ..

هكذا خرج (علاء) يتفقد الوحدة ..

ما أغرب العلاقات البشرية ! ها هي ذي الوجوه من حوله
صانعي مقلة .. لا يعرف عن أصحابها شيئًا .. إن هي إلا أيام

ويفتح الستار عن المحتوى الإنساني الثرى لكل واحد .. هذا شرير .. هذا راقع .. هذا مختل .. ذات لشعور الذى يشعر به عندما كان يدخل فيلماً سينماتياً فى منتصفه فى إحدى دور السينما التى تعيد الأفلام .. يبدأ فى رؤية وجوه لا يعرف عنها شيئاً وعلاقات يجهلها تماماً .. ثم يرى الفيلم من جديد فوضع كل قطعة من اللغز فى مكانها .. هناك وجوه سوف يبقى لمراقبها وجوه سوف يرقص طرباً لوداعها ..

فقط دع الأيام تدور دورتها المعتادة ..



كان أول من قابلته هى الدكتورة (هانا فان بيردن) نائب المدير .. هذا نوع من التوازن المحسوب بدقة .. المدير من الزولو فلا بد أن تكون نائبة هولندية .. كانت عجوزاً أو جعلها الإفراط فى الصرامة والتدخين كذلك .. ليست شمطاء من طراز (هيلجا) الألمانية التى كانت تشير رعبه فى (أنجا واتدري) ، لكنها تحمل ذات الطابع الصارم الجاف .. هذه امرأة تم عصرها بعناية كالليمونة كي لا يبقى فيها شيء من رونق الأنوثة ..

صافحته بطريقة عملية ، ثم قالت له :

- « سوف تلاحظ هنا أن اللغتين الرسميتين هما الإنجليزية والهولندية .. ليست الهولندية بالضبط بل نسخة محرفة منها تدهى الـ (تال taal) .. بالطبع سوف تتعامل مع الكثير من الزولو ، لكن لدينا مترجمين لعدة لغات .. »

ثم نظرت في أوراقها وقالت :

- « الزولو شرسون جداً .. لا تتعامل معهم بأي شكل إلا ما هو طيب .. ثم ... » وواصلت تفقد الأوراق « ألاحظ من سيرتك لذقية أنك نشيط جداً وأنت مررت ببرامج لا بأس بها .. حتى الأنهار .. كالا أزور .. جميل .. جميل .. »

طبعاً لو عرفت كل ما مر به (علاء) لسقطت الأوراق من يدها .. حتى داء (أنزايمر) وجنون الأبقار مر بهما .. لكن هذه كانت مغامرات وهي لا تكون في السيرة الذاتية ..

قال لها (علاء) في فخر :

- « وصلت مع (إبراهيم مالك سلمان) .. »

قالت بذات اللهجة العنيفة :

- « آه .. إنه إدري لا بأس به لكنه ليس عالماً »

هكذا فهم (علاء) القصة بوضوح .. إنها مجرد مستعر هولندي لم يتخلص من احتقار السود ، ومن الواضح أنها تكمن السم في كلماتها ليكون هذا درسه الأول .. (بوير Boer) .. هذا هو الاسم الذي يطلقونه على هؤلاء الهولنديين .. لقد تعامل (علاء) مع البستنة والكيكويو والفولاني والكاشا ولم يجدهم بهذا السوء .. حتى توركتا والماماي في كينيا لم يتعامل معهما مباشرة لكنه مما سمعه عنهما لم يستطع أن يكرههما .. على الأرجح لن يكون للتعامل مع الزولو شعباً .. فقط هذه المرأة تريد ذلك .. دعك من أنها هولندية .. في الغالب يحب الهولنديون إسرائيل لأسباب سنشرحها فيما بعد ، وفي الغالب من يحب إسرائيل لا يطلق العرب ..

و (علاء) عربي ..

عربي جداً لو شئت الثقة ..

كنت تمشي بسرعة فاضطر للركض كي يلاحق بها ..

هذه المرأة مدخنة وتكبره سنًا بعشرين عامًا على الأقل ، لكنها قطعت أنفاسه حقًا وهو يحاول اللحاق بها .. كنت تتكلم بلا توقف بينما هو يحاول ألا يصاب بنفحة صدرية :

- « هنا نجد كارثة اسمها (الإيدز) .. المرض يتفاقم وتكلفة علاجه تتزايد .. لهذا سيكون هذا عملك الرئيس هنا .. حملات توعية .. مناظرة .. فحص .. علاج .. إلخ .. يجب أن تكتسب خبرة أكثر بهذا المرض .. »

- « حسبت أنني سأعمل في مشروع مكافحة مرض النوم »

- « لا شيء من هذا .. نحن نسيطر على المرض سيطرة تامة .. خذها كقاعدة : حيثما وجدت اضطرابات سياسية ظهر مرض النوم ؛ لأن مشاريع لمكافحة تتعطل كلها .. نحن هنا في مكان مستقر سياسياً بالنسبة للقارة السوداء .. »

ثم ألقت به في قبضة طبيب غربي أصلع الرأس أحمر الوجه كالجمبري المسلوقي :

- « هذا هو دكتور (سميت ماكفادين) .. سوف يشرح لك ما يجب عمله »

ثم تركته بذات السرعة ، حتى شعر (علاء) بأنه قد ألقي من قطار مصرع ..

تلقاه (ماكفادين) قبل أن يسقط على الأرض ، فيقول له بلهجة طريفة :

— « أنا رئيس وحدة الإيدز هنا .. أمل أنك ستحب المكان .. »

من اللحظة الأولى أترك (علام) أنه سيحب هذا الرجل .. فهو ظريف لا يتكلف .. إنه مكتة من العواطف الحارة والانفعال .. هذا لسبب بسيط طبعا هو أنه أسكتلندى وليس بريطانيا .. هذه لك (ماك) تظن ذلك بوضوح ، دعك من لهجته ، وإن كانت إنجليزية (علام) لا تسمح له بتمييز اللهجات ..

سأله الرجل ، وهو يرافقه إلى مكتب صغير على مدخل عنبر واسع :

— « كيف الأحوال هناك فى الغرب ؟ »

— « (الكاميرون) لا بأس .. الملاريا عذبة جدا .. »

— « لكنها تستجيب للكلوروكين .. هذه نصبة لا تجدها فى بقى العالم .. »

ثم راح يسأل (علام) عن بلده وعن أسرته .. واثقده إلى العنبر ليقيم له الموجودين .. خليطاً من الجنسيات كما فى (سافرى) فى كل مكان .. هناك طبيرة مجرية .. طبيب

أسبقي .. ممرضة فلبينية .. ممرضة من الزولو ..
ممرضات تشيكيات ..

هذه هي عناصر الإيدز .. وهذا يختلف عن مرض HIV
طبعاً .. نحن الآن في مرحلة فقدان المناعة ، عندما يتحول
المريض إلى شيء مهدد بالموت لأي سبب .. أنتم لا تتابعون
قصص (علاء) كلها ، ولو فعلتم لوجدتم أنه مر بقصة
كاملة مع هذا الداء الوهيل ..

القرآن الآن يبدو قريباً جداً واضحاً ..

من الواضح أن منتصف الليل قد ولى ..

يجب أن أصمت الآن لتناموا قليلاً ، لكن موعدنا مساء
الغد لاستكمل لكم القصة ..

★ ★ ★

الليلة الثالثة

مرحباً بكم ..

جئتم مبكرين هذه الليلة ، لكنى لم أر بعد الحمار فى العيون . أنا أعرف هذه الأعراض ولا تقلعنى .. كل رلو محترف يعرف أن القصص تكون مملة فى بدايتها مهما لطنا ، ومن الخير أن تنس كل ما هو غير متصل مع هذه البدايات المحبطة لتتخلص منه .. من الصور على المستمع أن يتخلص عن القصة وهى لم تبدأ بعد .. لهذا يجلس .. لهذا يتحمل .. وهذه اللحظات هى فرصتى الأخيرة كى أحكى تفاصيل مملة .. بعدها لن تسمحوا لى بهذا لهذا ..

تضحكون ! لا بأس .. مهنتى تحتم أن تكون هناك ضحكات فى مواضع من القصة ، وشبهات فى مواضع أخرى .. بهذا لو كنت هناك سموع أيضاً ..

لقد اندمج الشاب (علاء) فى الوسط الجديد ، وراح
يمارس عمله .. لم تضع أيامه فى (سافارى) الأولى
هباء ، ولم يضع كلام (آرثر شوليبى) بلا جدوى .. إنه
يعرف بالضبط ما يجب عمله ..

على أنه حين انتهت ساعات العمل وجد نفسه
فى غرفته .. ليست غرفة حقيرة ، كما أنها مزودة بجهاز
تكييف .. لكن من المجنون الذى يشغل جهاز تكييف
فى (الناتال) ؟! هذه هى سخرية الموضوع : حينما توشك
على أن تشوى حياً بمدون غرفتك بمروحة سقف ، وحينما
تشعر بأنك موشك على التجمد ليلاً بمدونك بجهاز تكييف
على أحدث طراز ..

عندما انتهت ساعات العمل ، وجد نفسه فى الغرفة
وحده .. شعر بحنين خائق يستبد به ، حتى ليوشك على
الاختناق .. آلاف الأميال تفصله عن (برنات) ووحدة
(سافارى) العزيزة .. وآلاف آلاف الأميال تفصله عن بلده
مصر وأسرتة .. يشعر بها تجثم على روحه ..

ماذا يفعل هنا ؟! أشعر بأننى أبتلى من ذقن تلك الجمجمة
التي تمثل إفريقيا .. يكفى أن تتزلق يدي لأسفل فى المحيط

وتفترسنى الثعابين .. إنه الآن يفهم ما كان البحارة القدامى يكتبونه على خرائطهم عند طرف إفريقيا الأسفل : « لتكن هنا ثعابين Here there be dragons » ..

(فاسكو دا جاما) مر هنا يوماً ما .. لكنه لم يتوقف كثيراً .. كان فى طريقه إلى (ماليندى) ليلقى بحاراً عربياً عظيماً أخبره بالطريق إلى الهند .. إنه (أحمد بن ماجد) ..

غربة فى غربة فى غربة .. (علاء) الذى كان يعتبر ابتعاده عن مصر غربة ، صار اليوم يعتبر ابتعاده عن (الكامبيرون) غربة أخرى .. (غريب فى غربتى) ، كما يقول شاعر عندهم ..

وعليه أن يتحمل هذا الاشتياق الحارق عدة أشهر .. لكن هل تتحملة (برنات) ؟ هل تظل حية سالمة ؟

يلتف بالغطاء ويرتجف .. ليس من البرد بل مما هو أدهى من البرد ..

يرتجف من الحنين !

راح يجوب الغابر في صحبة طبيب المتقى يدعى
(فيلى فيرتاير) وممرض يدعى (بوتليزى) .. هذا
الـ (بوتليزى) من الزولو لكنه يجيد عدة لغات .. وهو على
قدر عال من الكبرياء .. الكبرياء الذى يعبر الخط الفاصل
إلى الغرور أكثر من مرة .. لا تعرف المسبب ، لكنه متعال جداً
وهو كذلك متقى جداً ، حتى يبدو للطبيبان رثين بالنسبة له ..

على الأسرة يرقد هؤلاء للتصاء بصورتهم المتسعة
لا يقولون إلا كلمة واحدة : اشفنا ..

بعد حوار بلغة الزولو تخللته كثير من الطرقعات
والطقطقات (هذه أحرف بالنسبة للزولو) ، يقول الأخ
المترجم وهو يستند إلى حاجز الفراش :

« هذا لرجل من (توجيلا فيرى) .. هذه القروح
في فيه تمنعه من الأكل .. ثم إنه يعانى صداعاً رهيباً يوشك
على شق رأسه إلى نصطين .. هذه هي كلماته .. »

طبعاً كان المريض مريض (إيدز) لهذا يجب تفسير
كلماته على ضوء الإيدز .. لماذا لا يستطيع الأكل ؟ لأن
الخطريات تغطى غشاء فيه .. لماذا يشعر بالصداع ؟

قال الطبيب الألماني : (علاء) :

« نحتاج لدرجة عالية من الشك فيما يتعلق بحالات التهاب السحايا الناجمة عن (كربتوكاس نيوفورماتس) .. أحياناً يكون الصداع هو العرض الوحيد في مريض الإيدز .. لو لم تأخذ هذا العرض بجدية فلربما نفقد المريض .. هل تجد أخذ عينة من السائل النخاعي الشوكي ؟ »

طبعاً (علاء) يجيد هذا ، لكن مع مريض (إيدز) ؟ ماذا عن العدوى ؟ إنه يرى بوضوح وجلاء منظر الإبرة تخرج من ظهر الرجل لتتغمس في يده .. لقد مر بموقف كهذا من قبل .. لكنه يكره أن يتكرر ..

إلا أنه كان بحاجة لإثبات أنه بارع وغير مدلل ، لذا تولى المهمة ..

هناك غرفة مخصصة لهذه العمليات البسيطة .. لهذا توجه إليها ودخل إلى الحمام المجاور ليقوم بطقوس التعقيم .. شعر بمن يقف جواره فالتفت .. كانت تلك الممرضة من الزولو تقوم بطقوس التعقيم بدورها .. تشمر ذراعها وتصل يديها بالماء والصابون ثم تدعكها بفرشاة مغموسة في مطهر ..

كانت منهمكة فيما تقوم به فلم تلاحظ أنه ينظر لها مدققا
 في المرأة .. الحق أنها كانت جميلة لو كنت تفهم معنى
 الجمال الأسمر .. العنق الطويل الذي يذكر بك بقرال خرج من
 الدغل .. عيناان ساهرتان خاصة وهي تنظر لأسفل ، وما
 من فتاة لا تبدو أجمل عندما تنظر لأسفل ، كما خلق الله
 المرأة وكتب لها أن تكون أجمل عندما تطرق خفرا .. ثم
 إنها تضع كمامة على فمها وهذا نموذج أسطوري للجمال :
 للمرأة التي لا فم لها ..

بطريقة عملية تغادر الحمام ، وعندما خرج إلى الغرفة
 وجد للمريض النعس جالسا وقد ثنى ظهره العظمى النحيل
 لتتبدى الفقرات .. وكانت الممرضة قد ارتدت قفازيها
 وساعدته على ارتداء قفازيه ..

بدأ يدهن ظهر المريض بالمادة المطهرة ، ولم يتمالك أن
 سألها بالإنجليزية :

« ما اسمك ؟ »

قالت في تهذيب وهي تساعده :

« (أونوليا) يا دكتور .. »

لا يدري .. كان يتخيل لها اسمًا أكثر رقة .. ربما اسم فيه حروف ميم وسين وربما بعض حروف اللام على سبيل المرح .. لكن (أونوايا) اسم إفريقي جدًا .. وما تنب الفتاة ؟ إنها إفريقية ولن يصير اسمها (ساللين) لو (سيمونا) لمجرد أن هذا يروق له ..

راح يتحسس بلنامته موضع دخول الإبرة .. ثم سألها :

- « عرفت أنك من الزولو .. »

لم ير قمها لكن عينيها ضحكنا ، وقالت :

- « (أونوايا) اسم شديد (الزولية) Very Zulu »

غرس الإبرة فشرع بها تشق طريقها .. شعر بها تضع يدها على ساعد المريض وتهمس له بشيء بلغة ما .. واضح .. طبعًا .. أنها تقول : انتهى الأمر .. لا تقلق .. شيء من هذا القبيل ..

سحب الشاقبة فراح المسائل يتدفق .. مدت يدها بأنيوب الاختبار تتلقى المسائل الثمين الذي بدا له رائعًا ..

قال لها ، وهو يراقب امتلاء الأنيوب :

- « سوف نصبغه بـ ... »

- « بالخير الهندي .. أعرف .. »

تترع الإبرة ذاتها وبدأ يضع الضمادات .. وأقبل للرجل بالإنجليزية ، ما معناه : لقد انتهيت يا حاج .. لا تقلق .. لكن البلمس كان قفلاً فعلاً ، ولا يعرف حرفاً من الإنجليزية .. قالت له وهي تنزع قفازيها :

- « جيلونجا .. »

لا يدري هل هو واهم أم أن المقاطع التي يسمعها بلهجة الزولو لها رنين ساحر .. الآن صار يعرف (سالادشي) و (جيلونجا) .. ثم تزعت الكلمة فلدرك أن بعض النساء قد يكون لهن قم وبيتين جميلات ..

سألها عن مصر الأكيوب .. هل يحتفظ به ، فهزت رأسها أن يترك هذه الأمور لها .. لقد قام بما يجب ، وعطيه ألا يشغل بقله ..

لها سحر خاص ، هكذا فكر وهو (يلك تطيمه) كما يقول الجراحون ، مهنية نظيفة على درجة من الكفاءة ..
وجميلة أيضاً ..

لم يكن عنده ما يقوم به عصراً ، لذا قرر أن يتجه إلى المدينة .. كان ذلك الطبيب الاسكتلندى لطيف المعشر (مكلفادين) يريد الخروج لايتياع بعض الأشياء .. وقد عرض عليه أن يصحبه ..

- « ماذا تريد ؟ »

- « أبحث عن غيار دخلنى أزرق اللون ا »

- « أزرقى ! هل هذا شرط محتم ؟ »

- « الغيارات ذات اللون الأزرق تكون جيدة وتتحمل الفصل .. »

كان هذا أغرب شيء سمعه (علاء) .. الطبيب لا يبدو رقيقاً لهذا هو على الأرجح مجرد أحمر آخر .. غيار أزرقى ! ما هذا الثوب العجيب ؟

- « هل تريد شراء بعض الغيار الأزرق بدورك ؟ »

قال (علاء) دون أن يضحك :

- « لا .. فى مصر تفضل الغيارات ذات اللون البنفسجى .. أنت تعرف جو الصحراء هذا .. »

فهز الرجل رأسه كأنه يفهم .. لا بد للصحراء من غبار
بنفسجي .. هذا شيء معروف ..

زحلم في كل صوب .. الآن بدأ (علاء) يفهم حقيقة أنه
في برج (بابل) فعلاً لا مجازاً .. وجوه من كل نوع ..
متاجر كبيرة تذكرك بشوارع (سليمان باشا) عندما ،
وبالعات خضر يجلسن تحت مظلات .. هناك باعة تحف
يذرونك بـ (خان الخليلي) .. سياح في كل صوب ..

- « هذا التمثال يروق لي »

كان هذا تمثالاً من خشب يمثل محارباً من الزولو يلوح
برمح - ف إن (برنات) ستحبه لأنها مولعة بهذا الكلام
الفارغ .. البائعة التي تدهن وجهها بالطين الأحمر على
سبيل الوقاية من الشمس تنظر له في ترغيب وتضحك
كاشفة عن أسنانها الذهبية .. قال له الطبيب الأسكتلندي :

- « ستولي أنا الفصال .. إنها ستحاول خداعك .. »

وراح في حوار طويل مع المرأة بلغتها .. كانت مساومة
عديدة لكنك تعرف نوع هذه المساومات .. إن البائع يطلب أكثر
مما يريد بكثير ، لهذا يكون أي عرض مربحاً مرضياً له ..

قال (مكفادين) بينما للبالعة تناولهما التمثال :

- « لاحظ .. كيف تعطيك إياه ! »

نظر (علاء) فوجد ان المرأة تتاوله التمثال بيدها اليمنى ،
بينما تضع راحة اليد اليسرى تحت ساعد الأولى ..

قال (مكفادين) مفسراً :

- « لابد من تقاليد للبيع هذه لدى الزولو .. إنها تخبرك
بهذه الحركة أنها لا تحمل أسلحة ، وأنه ليس لك أن
تخشها .. »

واصل المشي في السوق .. للطبيب الغربي لا يكف عن
البحث عن خيارات زرق ، حتى شعر (علاء) بأنه سيفقد
وعيه .. لقد رأى خيارات كثيرة لكنه لم يتحمس
لأى منها ..

هناك خليط من الفقر المدقع هنا .. بعض الناس يلبسون
ثياباً من أجولة السماد وأحذية من إطارات السيارات ..
وهناك ثراء فاحش ، يبدو في ثياب القوم ونظاراتهم
للشمسية الثمينة ..

وتنكر (علاء) كلمات المدير .. إنها صداقة فعلاً ..
أعنف الفقير وأعنف للثراء يحتكان فيولد المولود الشرعى
لهما : الجريمة ..

من بعيد يرى ميناء (لربان) ويرى سيارات عملاقة
محملة بالأجولة تدخله محبشة فوضى لا تصدى في المكان
المزدحم .. أجولة سكر كما هو واضح ..

قال (مكفادين) الذي اعتبر نفسه دليلاً (علاء) ومعه
حق :

- « السكر .. أهم صادرات البلاد .. إن الزولو يجيدون
زراعة قصب السكر .. الفدان هنا ينتج ما يزيد على
٤٠ طنناً .. بينما في كوبا مثلاً لا ينتج الفدان أكثر من
عشرين .. كنت هناك زراعة شاي متقدمة يوماً ما .. »

قال (علاء) باسمًا :

- « لا بد أن أصحابها كانوا الآسيويين .. »

هز رأسه موافقاً ، وقال :

- « أصبت .. أصبت .. فلما رحل هؤلاء اتهارت هذه
الزراعة .. لا أحد يستطيع أن يزرع القضاى كما يفعل
الآسيويون .. »

فجأة ! وجد (علام) نفسه يحدق فى وجه جميل مألوف ..
إنها هى .. (أونوابا) .. الممرضة الفاتنة التى ساعدته
فى بذل النخاع الشوكى اليوم .. لم يتعرفها أولاً لأنها
لا تلبس ثياب المستشفى ، لكنها كانت تلبس بلوزة وتتورة ..
ثياب بسيطة هى لكنها أنيقة ، ومن جديد تحرك تلك الشعور
المرهف بالنظافة .. حذاء خفيف منخفض يسمح لقامتها
للحراة بأن تتساوى بالآخرين .. لا تلبس تلك الألوان
الإفريقية الفاقعة التى تشعره بأنه سيفقد وعيه ..

كثرت تمشى فى السوق حاملة حقيبة بها بعض
للخضراوات ، فلما رآته والطبيب البريطانى هتفت :

- « ساكوبونا دكتور ! »

تضغط على حرفى لكاف والتون ضغطاً غير رفيع ، كأنها
تريد أن يغمس الحرف فى الأرض للأبد ..

رأت نظرة الدهشة فى عيني (علام) ، فقالت فى مرح :

- « أنا من (توجيلا فيرو) لكنى أقيم فى (سافارى) ..
 ابتاع ما أريد من هذه المدينة .. »

قال د. (مكفادين) :

- « (أوتوايا) هى مفخرة التمريض فى وحدتنا .. أنت
 عرفتها .. ثقى أنها بارعة بحق وأمينة وصديقة »

ثم سألها فى صراحة بحسد عليها :

- « أبحث عن غيار لونه أزرق .. هل يمكنك أن
 تدلينى ؟ »

لو أن الوجه الأسمر يشى بالاحمرار لهذا هذا واضحا ،
 لكنها ضحكت ضحكة مشرقة ونظرت إلى جانب الطريق ..
 ابتعت أفكارها وبدأ أنها ستفقد الوعي ، ثم أشارت إلى
 محل كبير له واجهة مغرية بحق ، وقالت :

- « هناك .. هناك .. »

- « غيار أزرق .. هل فهمت ؟ لا أريد أى شىء .. »

- « نعم .. نعم .. هم مختصون بهذه الأمور .. »

فكر (علاء) انه لو كان فى مصر لوصف المحل بأنه
(بيشتغل فى الأزرق) لكن هذه هى المشكلة .. دعاياتك لا
قيمة لها هنا ..

قال (مكفادين) وهو يجرى منهوفاً ليبر الطريق :

- « أرجو أن تسلى طبيبتنا الشاب يا (أونوليا) إلى أن
لبتاع ما أريد .. اعتقد انه لم يعد يطيق جولة المحلات هذه »

هكذا وجد (علاء) نفسه يقف مع تلك الممرضة ..
ولسبب ما شعر بحرج غير معتاد .. هكذا راح يصفر وهو
يثبت عينيه على بقعة بعينها من الأرض ..

قالت ، وهى تشفق ضاحكة :

- « لطيف جداً . (مكفادين) .. يقولون إن الأسكتلنديين
كلهم كذلك .. لو لم أعرفه جيداً لحسبته مجنوناً لو وقفاً .. »

قال (علاء) ، وقد سره أن هناك خبطاً للحديث :

- « يقول إن الفيل الأزرق يعرش أطول .. هذا شأنه ..
عرفت فى مصر رجلاً يؤمن أن الجوارب الكحلية لا تنقب
بسهولة .. »

- « هي كبيرة جدًا .. هه ؟ »

- « الجوارب الكحلية ؟ »

- « بل مصر .. كبيرة جدًا ؟ »

- « كبيرة جدًا .. مزحة جدًا .. »

- « هل تحب (ليربان) ؟ »

قال صادقًا :

- « ليس تمامًا .. متمدنة أكثر مما يروق لشخص اعتاد
الأحراش .. متخلفة أكثر مما يروق لشخص رأى
(نيروبي) .. عندما رأيت (نيروبي) خيل إلى أنني في
باريس .. »

وقفا يتكلمان بعض الوقت عن كل شيء .. وفي النهاية
ظهر الطبيب الأسكتلندي وقد بدا عليه سميت (على بابا)
عندما عاد بكنوز الأربعين لصًا .. هكذا حيا الفتاة وجر
نراع (علاء) مبتعدين ..

لم ينس (علاء) أن يحرك شفتيه بصعوبة باللغة ليلفظ
الكلمة :

— « صد .. صد .. صد .. ساكوبونا ! »

— « ساكوبونا ! »

ثم أردفت وهى تصيح :

— « إيه فراقى .. لذا استعمل لفظة (صالاداشى) »

أنتم بدأتكم فى الثاوب .. ربما أطلت عليكم .. دعونا ننتهى
هذه الليلة ، وغدا أحكى لكم باقى القصة ..



الليلة الرابعة

مرحباً بكم ..

مرت أيام على (علاء) وبدأ يعتاد المكان .. لم يرتق
الاعتياد إلى درجة الحب .. لكنه على الأقل لم يعد يشعر
بذلك الاختناق كلما فكر في (برنات) ..

المدير (بالينجا بايلا) من الطراز الذي لا يختلط
بمرءوسيه .. يفضل أن يكون في برج عاجي منعزلاً عن
الأحداث ، أما نائبة المدير (هاتا فان بيردن) فكانت
موجودة في كل مكان ، وكانت تلاحظ كل شيء بعيني صقر ،
لكنه لم يصطدم بها ..

فقط ذات مرة دخلت الغبر وراحت تتفقد كل شيء ، ثم
استوقفت الممرضة (أونوايا) وراحت تتكلم معها بلغة لم
يفهمها (علاء) .. كتبت تتكلم بحزم وعصبية ، بينما للممرضة
ترد بركة مهذبة ، لكنها لا تخلو من حزم بدورها .. ما هذه
اللغة ؟ في لحظة يخل إليك أنها الألمانية ، لكنك لا تتبين أية

كلمة تعرفها من تلك اللغة .. ذات ما يشعر به عندما يسمع
التركية .. فهناك لحظات بعينها يعتقد أنه يسمع الفرنسية
ولحظات بحسبها العربية ، لكنه لا يتبين أية كلمة مألوفة
من اللغتين ..

ثم تذكر .. نحن فى (الناقال) .. إذن هما تتكلمان
بالهولندية .. هذا منطقى ..

قالت الغالبة شيئاً فى عصبية وانصرفت ، على حين
وقفت (أونوايا) صامتة .. خيل إليه أنه يرى بعينين
فى عينيها تجمدتا بفعل كبرياء وغيظ مكتوم ..

لذا منها وسألها عما هناك ، فقالت بالإنجليزية :

« تتهمنى بأننى تلخرت فى تسلم الوردية .. وهذا جعل
أحد المرضى يلفظ أنفاسه .. دائماً تتهمنى بالتأخير .. »

« وهل هذا صحيح ؟ »

« لم يحدث .. لقد توفى المريض قبل بدء ورديتى
بثلاث دقائق .. كانت معه الممرضة التشيكية .. سوف يثبت
التحقيق هذا لكنها لن تفعل .. هى تعرف قبل أى واحد آخر
أننى لم أتأخر .. »

« وما سبب هذا التحرش ؟ »

نظرت له كأنها تنتظر إلى طفل ساذج ، وقالت :

« هي هولندية .. من (البوير) .. ولنا من (الزولو) ..
 ماذا تتوقع ؟ إنهم كانوا الطغاة للمستعمرين ، الذين يعاملون
 السود كأنهم أقل من البشر .. هذا هو نظام (الأبارتايد
 apartheid) أى التفرقة العنصرية .. منذ عام ١٩٤٨
 حتى عام ١٩٩٤ .. ظلوا يعاملوننا كالحيوانات .. وكنوا
 يعزلوننا فى أماكن خاصة .. منعوا الزواج بيننا وبينهم ..
 منعونا من الانتخاب برغم أننا كنا الأغلبية .. هل تعرف أن
 بلدك مصر كانت من دول الـ quota ؟ أى الدول التى يعامل
 أهلها معاملة سيئة لدى قدومهم إلى هذه البلاد ! والسبب
 أن اللون متقارب نوعاً .. (غاندى) كان فى جنوب إفريقيا
 يدرس القانون وعومل معاملة العبيد ، لأنه من دول
 الـ Quota هو الآخر ، وقد علمته هذه المعاملة الثورة ضد
 بريطانيا حتى طردها من الهند .. لكن جاءت اللحظة التى
 لا مفر منها ، وازداد عدد السود ليلتهم القلة الهولندية ،
 وعادت البلاد لنا .. »

فكر (علاء) .. هذا هو السيناريو المحتوم الذى يرتجف قادة إسرائيل منه ، ويطلقون عليه (القنبلة الديموجرافية) ، لهذا يحاولون إبعاد الفلسطينيين قدر الإمكان ، ولهذا ترحب أوروبا بأى فلسطينى هجر وطنه وتفتح له فرص العمل ..

إن حكومة جنوب إفريقيا وحكومة إسرائيل تتشابهان بشكل مريب .. وهذا يفسر الغرام المشبوب بين الحكومتين وتحديهما للعالم كله ..

رفعت الفتاة رأسها ، وقالت فى شمم :

— « لقد أذاقهم قومي من (الزولو) الويل .. وهم لا ينسون هذا .. صالاداشى ! »

ثم مضت تمارس عملها كغزال رشيق بين الأمرة ..



عندما جاء المساء توجه (علاء) إلى غرفة د. (متكفلين) وعرض عليه أن يخرج معه ، لكن الطبيب الشاب الأسكتلندى كان راقداً فى الفراش بثيابه الداخنية الزرقاء ، يشاهد التلفزيون ، وقال إنه لا يرغب فى الخروج الليلة ..

.. « فقط خذ الحذر .. لا تتلخر كثيرا ولا تحمل مبالغاً ضخماً

من المال .. »

هكذا وجد (علاء) أنه مخير بين إلغاء الجولة أو الخروج وحيداً .. كان يشعر بأنه يختق وهو بحاجة إلى الهواء الطلق ، لكنه ينمى قلقه على الوطنيين .. مصر والكامبيرون ..

سوف يكتب خطاباً لـ (برنادت) لدى عودته ويرسله بالبريد الإلكتروني .. إن هذا البريد السحري الذي لم يكن أحد يعرفه قبل عام ١٩٩٢ ، قد قلص حجم العالم إلى درجة لا تصدق .. سوف يرسل الخطاب وربما يتلقى الرد في الليلة ذاتها ..

مشى في شوارع (بيربان) التي صارت ملحمة لضواء .. الجو بارد قليلاً لكنه منعش .. يتذكر هذه الشوارع لأنه مشى فيها ذلك الصباح ، وإن كانت قد صارت خالية من الباعة الآن ..

كان هناك هاتف عمومي توقف عنده ، وبحث عما معه من عملات .. جرب أن يمس بعضهما وطلب رقماً لن ينساه أبداً .. انتظر حتى يسمع الرنين .. حبس أنفاسه .. لكن

شينا لم يحدث .. فى النهاية ألقى له الهاتف العملة
التي وضعها فى اشمزاز ..

تنهد (علاء) ومشى يتفقد واجهات المحلات .. الأسعار
مرتفعة بلا شك .. من حين لآخر يقابل وجهها قبلًا يحمل
معالم مميزة .. استطاع أن يحدد ثلاثة أنواع من الوجوه ..
الزولو .. هناك وجوه مثثة لها طابع ثعلبي واضح ..
وجوه زيتونية اللون غائرة للخدين .. تمنى لو كان معه
من يعرف أكثر ..

هنا سمع من يناديه بالإنجليزية :

- « سيدى .. أنت طبيب ؟ »

التفت إلى مصدر الصوت فوجد رجلاً ضليلاً حافى
القدمين ، يمسك بقبضته فى مداهنة ، وينظر له نظرة كلها
توسل واستعطاف ..

- « أنت طبيب فى تلك الوحدة .. أنا رأيتك هناك .. »

- « نعم .. نعم .. »

- « إيه أخى .. يبدو أنه يموت .. لابد أن نسماء أرسلتك

لنا .. »

واتفجر الرجل في الهكاء غير مصدق هذه المعجزة
التي هبطت عليه ..

- « ما شئت ؟ »

جلف الرجل معه ، وأشار إلى زقاق قريب :

- « إنه لا يرد .. كنت لكلمه وفجأة ! تصبص صدره وسقط
على الأرض .. أنا أعرف يقيناً أنه مات .. رباه ! لا تقل
هذا .. لقد مات .. بل هو قد مات .. لنا أعرف هذا ! »

كان يتكلم وهو يهرع إلى الزقاق مذعوراً .. لم يجد
(علاء) بداً من أن يتبعه وهو يتعاضل عن أسباب سقوط
الرجل فجأة . إغماء على لم سكتة بماغية لم سكتة قهية لم ... ؟

للزقاق مظلم .. بصعوبة يمكن أن تتبين ما يحدث ..

على الأرض هناك شخص أو شيء أو فيلق من الجيش
الروماني .. يمكن أن يكون أي شيء فهو لا يرى ..

بدأت عيناه تتعودان الضوء الخافت .. واستطاع أن يميز
الموجودات .. لم يكن مخطئاً بصدد الجيش الروماني ،
لأنهم كانوا ينتظرونه بخمسة رجال .. خمسة ثيران آدمية

كأنما العضلات لا تكفيها فتدجج بالسلاح .. عيون بيض
تلتمع في وجود سود ..

الآن فهم .. هناك ثوان ينسى فيها للمرء الدرس وتكون
قليلة .. الخزائير الصغيرة أخطأت وفتحت الباب للذئب ..
نظر للوراء فوجد أن الثغرة انغلت .. كان أحمل ..

قال أحدهم ، وهو يلوح بشيء يلمع في الضوء الخافت :

« نفود .. ساعة .. خاتم .. أى شيء .. »

وقال آخر بالإنجليزية :

« نعم .. نعم ، وثيلك أيضا ! »

ثم دارت محادثات بلغة لا يعرفها .. ربما هي الباتويد ..
ربما هي لغة لزولو بالذات ، لأنه يسمع قطعة من حين لآخر ..
لقد أخطأ هؤلاء اختيار الضحية ، لأن (علام) هو آخر
شخص يقبل بأن يجرد من مله وثيله .. وهو لا يلقى
بالعواقب ..

هكذا تطلق بأعنف ما يمكن ليمدد ضربة في فم معدة
أحدهم ، ثم ركل بطن آخر ، وقبل أن يفوقوا كان قد هشم

أنف ثالث .. إن الثغرة تفتح .. سوف ... فقط عليه أن
يجري بأقصى ...

هنا شعر بذلك الشيء يخترق بطنه ..

لم يصدق للحظة .. الآخرون فقط هم من تخترق
أمعاءهم مديّة .. بدا له ذلك غير حقيقي ، وكأنه يحدث
لشخص آخر .. هنا شعر بطعنة أخرى تخترق كتفه ..
غريب ! لماذا يؤلم الكتف ولا تؤلم الأمعاء ؟ من الغريب أنه
يبحث عن تفسير طبي بينما هو يموت .. ربما يبحث عنه
لأنه يموت .. الأمعاء لا تشعر لأن عليها طبقة من الغشاء
البريتوني ، وفيه ضفيرة أعصاب سمبثولية تشعر مثل أي ...!!

هذه كانت عصا هوت على جانب رأسه ..

سقط على الأرض ..

إنني أموت .. لا شك في هذا .. هذه هي المرة الأخيرة ..
كانت حياة قصيرة صاخبة لكن من المهيّن أن تنتهي بعملية
سقوط في زقاق ..

هنا شعر بأنهم يتحسسون جيوبه .. يلمسونها مما
فيها .. ثم لم يعد هناك أحد حوله ..

نن أموت هنا .. نصبر قليلاً يا صاحبي .. أعطنى فرصة من فضلك .. ربما كان إصلاح هذا ممكناً .. كان يرى أشباح الموت من حوله جاءت تصطحبه ، وهو يشير إلى الجروح ضاحكاً : هل ترون ؟ هذا ممكن إصلاحه .. وهذا .. سوف يخطئه الجراح .. هل ترون ؟ لا أمل فى موتى هذه المرة .. يمكنكم الرحيل مشكورين .. آسف لإزعاجكم دون طائل ..

مخرج الزقاق .. الشارع الصاخب ..

يزحف ..

هناك عشرات الأطنية تحيط به .. هل هم القطة أم هم أشباح للموت ؟ لا يعرف .. فقط راح يردد ، وهو يزحف على أربع :

« (سافارى) .. (سافارى) .. »

ثم لم يعد يذكر أى شيء ..

أراكم قد أرهقتم ، وغداً يوم طويل بالنسبة لكم .. لهذا أكتفى هذه الليلة .. لكن لا تنسوا موعدنا عند السفديانة العجوز غداً ..

الليلة الخامسة

مرحباً بكم ..

الزمن مرتبط بالوعي إلى حد غير مسبوق .. لهذا اختلط مفهوم الساعات الأيام الشهور .. فقط ينكر أنه كان يرى لطيفاً من حوله ، وأنه مضى وألم عميق يعصف بكتفه .. ينكر كيمناً من الدم الأحمر معلقاً هناك ..

كانت هناك روى .. هناك سكن بحجم الكون تحز عنقه .. هناك حرباء تتلون بلون الدم ثم تسود ببطء .. لساتها يخرج ليلتف حول عنقه ثم يعود .. (للمساء) يركضون في الحقول ، وشعورهم المستعارة التي صنعوها من لبدة الأسد تتطاير في الهواء ..

ومن بعد تدوى أغنية بلغة الزولو ، لكن من الغريب أنه يفهمها :

« عار على الجبان الذي يظل في كوخه حتى يحترق ..
لخرج وقتل .. هيه هيه يى يى يى ! »

روايات مصرية تلجيب .. سافاري ٥٣

يرى وجه (أونوبا) يطل عليه من أعلى .. ويضحك ..

— « أنت بخير .. »

تقول :

— « أسفة لأننى تأخرت عليك .. كالعاده تأخرت ! »

تقول :

— « سلكوبونا ! »

★ ★ ★

عندما أفاق (علاء) أخيراً كان فى الفراش فى قسم
الجراحة .. غرفة نظيفة خفيفة الإضاءة .. جواره يجلس
المدير د. (بلينجا بليل) يرقبه من وراء شاربته الكث
الأبيض ، يقول له :

— « لقد نجوت أيتها الشاب .. يعلم الله أن هذا كان

عسيراً .. »

قال (علاء) ، وهو يشعر بأنه لم يستعمل صوته منذ

عشر سنوات :

- « لقد تعوبت هذا .. »

- « لوى أنك لم تصغ لنصائحى .. قلت لك إن البلدة خطيرة جداً .. أخطر مما تتصور .. لكنك ضربت بنصائحى عرض الحائط ! »

- « سمعت تحذيرات مماثلة من د. (فلان بيردن) وحسبت أنها ... »

وابتلع كلامه كى لا يثرثر أكثر من اللازم ، قال المدير :

- « حسبت أنها إشاعات عنصرية .. ربما .. لكن عندما يأتى الكلام منى أنا فلا تأخذه بخف »

ثم أضاف ، وهو ينظر إلى الجهة الأخرى :

- « على كل حال قد أفتنك (لونيوا) .. أفتنك مرتين .. »

هب (علاء) مندهشاً .. نظر إلى جوار الفراش فوجد (لونيوا) جالسة على مقعد خشبى ، وهى تنظر إلى الأرض .. عيناها تترقرقان بالدمع الذى لا ينحدر .. أبداً لا ينحدر ..

قال المدير ، بصوته الوقور :

- « كانت هناك مصادفة في هذه الساعة المتأخرة ..
كانت تتسوق كعادتها من (ديربان) ، عندما رأت المارة
يلتفون حول جسد دام على الأرض .. دنت منك ففرقتك ..
وسرعان ما كانت تعمل جاهدة لتوقف النزف ، ثم استدعت
سيارة الإسعاف .. ظلت معك حتى المستشفى .. كانوا
يبحثون عن دم لك ، فأعطينا وحدة كاملة من دمها ! »

هنا هب (علاء) مذعورًا .. الخبر يستدعي الكثير من
الانفعالات لكن فيما بعد .. لكن لا تقل لي من فضلك
إنني أخذت وحدة من دم هذه الفتاة في بلد يتفشى فيه
الإيدز ، وهي ممرضة لا تعمل إلا مع مرضى الإيدز .. دعك
من الملاريا ، واللباسيا ، والزهرى ، والتهابات الكبد ، وفيروس
(إشتاين بار) ، والفيروس المضخم للخلايا و ...

رأت عينيه اللتين تصرخان بما يدور في ذهنه ، فقالت :

- « كنت قد تبرعت بهذه الوحدة من قبل لمرضى آخر ،
وحفظتها في الثلاجة إلى أن يتأكدوا من أنها خالية من
الإيدز والملاريا والتهابات الكبد .. بالفعل وجدوا أنه دم
ممتاز .. لما وجدتك في هذا الموقف أسرععت بإحضار
الكيس لك .. إن المريض الآخر يمكن أن ينتظر .. »

هنا تدخل المدير :

- « ثم إن (أونواها) ظلت هنا .. طلبت أن ننقلها لغير الجراحة فلم أر ما يمنع »

كان (علاء) يرتجف انفعالاً .. إذن كان الأمر بهذا السوء فعلاً ..

إن الضمادات تعوق حركته .. يبدو أنه صار صالحاً للقيام ببطولة فيلم المومياء بدلاً من (كارلوف Karloff) ذاته .. الألم شديد ، لكن كانت أمه تقول مثلاً علمياً لا ينسأه :

- « ما دام العود موجود .. للحم وجود » .. معنى هذا أنه ما دام حيّاً فلا بأس ببعض الإصابات التي تستشفى سريعاً .. المهم أن يجد اللحم مشجّباً يوضع عليه ..

لما الغريب في الأمر فهو أن دم (أونواها) صار يجري في عروقه .. هل لهذا أهمية ما ؟

نظر لها .. فرفعت وجهها وابتمت .. هل هذه الدموع من أجلنا ؟ حرك شفطيه إلى أن استطاع أن يقول :

- « جياونجا »

بلهجة لا بد أنها مضحكة ؛ لأنها التزمت بالتقليد حرفياً ،
ثم غاب عن الوعي أو نام .. لا أعرف بالضبط ..

★ ★ ★

سألها ، وهو يرشف العصير الذي جلبته له :

- « من هم أولئك القوم قصيرو القامة الذين لهم وجوه
الثعالب ؟ إنهم منتشرون في (ديربان) بشدة .. »

قالت مضحكة :

- « أنت تتكلم عن قبائل (البوشمن Bushmen) .. لم
يعوبوا كما كانوا في الماضي .. إنهم قصيرو القامة فعلاً ،
ولهم وجوه ثعلبية مثلثة .. أذاتهم لا شحمة لها .. كانت
مجتمعتهم قاسية جداً ، فهم لا يعترفون بالروابط الزوجية ،
ويلقون شيوخهم لبنات أوى .. ليس عندهم عد لأكثر من
أربعة .. لغتهم لا تتجاوز ٦٣ كلمة .. كنت تراهم يحملون
جرة بها خمرهم المصنوعة من الصل ، وحول خصير
الواحد منهم بيضتا نعام ملبتان بالماء على سهيل
الزمزمة .. طعامهم هو الحشرات والجنود .. »

قال في دهشة :

- « إنهم أكثر البدائيين بدائية .. »

- « كانوا كذلك يا دكتور .. كانوا كذلك .. »

★ ★ ★

سألها ، وهو يقطع الدجاجة التي أحضرتها له :

- « هل هي ؟ »

هزت رأسها ، وقالت :

- « مذبوحة شرعاً على طريقتكم .. لا تخف .. أعرف

هذه الأمور .. عندنا هنود مسلمون كثيرون في (بيربان)

فلا تقلق .. عم كنت تسأل ؟ »

- « رجال لونهم زيتوني ، ولهم عمون غائرة .. إنهم

طويلو للقامة ، يثبتون في شعورهم بعض القواقع »

- « تتحدث عن (الهوتنتوت) .. إنهم جاءوا من الشمال

هرباً من بعوضة (تسمى تسمى) .. يطلقون على أنفسهم اسم

(خوى خوى) .. ومعناها (رجال من رجال) .. مرحون

مسرفون قفرون .. عامة هم لرقى من (البوشمن) ، لكنهم

لكل تحضراً من (الزولو) و (البانتو) .. »

قال فى دهشة :

- « إن الزولو هم أكثر القبائل تحضرًا .. »

قالت ضاحكة :

- « هم كذلك يا دكتور .. هم كذلك .. لا تنس أننى من الزولو ! »

★ ★ ★

تعافى (علاء) ..

وفى النبلى للهانة كان يجلس ليكتب خطابًا - (برنات) .. كان يعرف أن الهانسة سوف تغلق عليه عندما ينقطع البريد الإلكتروني .. الخطاب سوف يستغرق دهرًا حتى يصلها ، لكنه لم يكن قادرًا على الوصول إلى جهاز كمبيوتر ..

هكذا جاءه الأسكتلندى (مكفادين) يطمئن عليه كعادته اليومية ، فطلب منه أن يرسل خطابًا إلى (برنات) وأعطاه عنوانها الإلكتروني ..

- « قل لها إننى بخير .. وإننى مشغول جدًا ؛ لهذا أختصر الخطاب .. لا تقل حرفًا عما أصابنى .. »

هو الطبيب الأمكتندي رأسه الأصنع ، ووعده بأن يفعل ..
 في اليوم التالي جاءه في الصباح لسيربت على ساقه من
 تحت الملاءة ، ويقول له في مرح :

- « كنت لها كما طلبت .. »

- « شكراً لك .. »

- « قلت لها إنك بخير ، وإنك مشغول لهذا لم تستطع
 الكتابة بنفسك ! »

هب (علاء) في الفراش فألمه كل جزء في جسده :

- « عم تتكلم ؟ هل خاطبتها بصيغة الشخص الأول على
 غرار (ذهبت فعلت) ؟ .. أم بصيغة الشخص الثالث على
 غرار (ذهب فعل) ؟ »

قال (مكفادين) في مرح ، وهو يفتح علبة زبادي وجدها
 جوار فراش (علاء) :

- « هل تريد هذه ؟ سأأكلها .. لا أفهم موضع الشخص
 الأول والثالث هذا .. لكني بالطبع قلت لها (علاء مشغول
 وسوف يتصل بك فيما بعد) ! »

كانت علاقة (علاء) بالطبيب الاسكتلندي لا تسمح له
بركله أو سبه ، خاصة أنه رئيسه رغم كل شيء ، لذا
اكتفى بأن نظر له نظرة نارية ، ثم اقتزع علبه الزبادي منه
فألقاها في سلة المهملات جوار فراشه ..

لقد ازداد الأمر سوءاً فلابد أنها جنت الآن .. إن
(مكالين) ليس سافراً فقط ، بل هو أحمق .. لم يعد سوى
حل واحد ، هو أن يغادر الفراش سريعاً ويتصل بها ...

أنتم نشطون راغبون في استكمال القصة ، لكني أنا من
يعتذر هذه الليلة .. إن صوتي قد تحسرج ويبدو
لنني مضغت الكثير من التبغ أمس !

سأكمل لكم القصة غداً ..



الليلة السادسة

مرحباً بكم ..

الطقس يتغير هذه الليلة .. هناك برد ينخر العظام وثمة
محب في كهف السماء .. من فضلكم أعطوني قراء النمر
هذا أنتثر به .. عندما لا يكون تحت جلدك قطعة دهن واحدة
تمنع البرد ، تكتشف القيمة الحقيقية للنار ..

أين توقفت ؟

آه .. عندما قرر (علاء) أن يخاطب (برنالت) بنفسه
هتلنياً .. هكذا فعل .. وجاء صوتها مرتعشاً خائفاً ..

- « هل أنت بخير ؟ »

- « بالطبع .. هناك قصة يطول شرحها وشخص لحي ما ..

لكني بخير تعلماً .. »

قالت له إن الأمور هائلة هناك .. طبعاً .. هو يعرف هذا ..
كما أن الأمور هائلة هنا .. كلاهما يكذب .. فقط يدعوا الله
ألا تكون قد تلقت طعنة شديدة أثناء محاولة السطو ..
قالت له :

- « أحلم أحلاماً مروعة .. »

- « أنت لم تتركى شيئاً للنساء الشرقيات .. إتهن بحلمن
طيلة الوقت .. »

- « ربما أنتقل بعض من طيف (شرقيتك) إلى .. لا أرى ..
يبدو أن من يتذوق هذه (الملوخية) تتغير خلاياه بشكل
ما .. هناك حرباء تزور أحلامي وتمط لساتها لتبتلعك .. »

حرباء ؟ مصالفة غريبة .. « هناك حرباء تتلون بلون
الدم ثم تصود ببطء .. لساتها يخرج ليلتف حول عنقه ثم
يعود .. » .. يبدو بالفعل أن هناك رباطاً روحياً بينهما ..

قال لها ، متظاهراً بالمرح :

- « دعك من هذه الترهات .. فقط حافظى على نفسك ..
ستصل بك صباح غد بتوقيتمكم »

انتهت المكالمة فوضع المماعة ، وقاوم تلك الشعور
بالاختناق الذي يعتربه كلما تذكرها .. فجأة ! تجثم على صدره
كل الصحارى وكل الأدغال وكل الأنهار التى تملؤها الفراس
للنهر والفيلة والأسود .. كل شيء يوجد بينه وبينها الآن ..
على الأقل هى تتكلم .. مزال كل شيء ممكناً ..



منهمكاً فى تدوين العلاج لتلك المرأة التى فتك سرطان
(كابوزى) بها ، شعر بالطبيب الألمانى (فيرتايمر) بنصيح
لغة بكتفه وهو يكتب وانتظر حتى فرغ ، ثم قال :

- « أريد أن آخذ عينة دم من المريض فى الفراش رقم ٧ »

قال (علام) ، فى برود دون أن يرفع عينه :

- « افعل هذا .. نحن فى بلد ديمقراطى حر كما تعلم .. »

- « أريد أن تفعل (لونوايا) ذلك .. »

- « إذن اطلب منها .. »

- « طلبت وتأخرت فى التنفيذ .. هى لم تعد تنفذ إلا تعليمات

شخص واحد ! »

نظر له (علام) للمرة الأولى .. لو أن القنطرات تقفل لتحول الأكماتى إلى لحم مفروم .. هذه مجرد صماعة مع نوع من الإغواء للزلف ؛ لأنه لا يوجد مزاح فى الفصل .. تطييفات لوحدة صرامة وتتحرك كالصاعقة .. و (أوتولبا) مطبوعة نشطة .. إذن الأكماتى يمارس نوعاً من (رمى البلاء عليه) ..

تظاهر (علام) بالغباء ، وقال :

« من ؟ »

« أنت تعرف .. أنها تركتتا عندما خرجت أنت ، وعادت عندما عدت أنت .. إنها ممرضة طبيب واحد .. وأنت تعرف هذا .. »

أعرف هذا ؟

التفت للأكماتى ، وهو ينظر له نظرة نارية .. إن وجه (علام) المملء بالشعر الأسود ، وعينيه الحلفتين عندما تنظران من فوق إطار العوينات هى أقوات ففكة لتأثير عندما يبقى أن يبدو صارماً مخيفاً .. لقد مارس هذه البروفة عدة مرات أمام المرأة .. هو لا يعرف كيف يكون

صارنا مخيفاً ، لكنه يعرف كيف يبدو كذلك .. لكنه تتلمذ على سادة (الطريقة Method) في ستوديو الممثل ..
قال ، ضاعطاً على كلماته :

« أولاً : أنا لمقت طريقة التلميح هذه .. لو كنت للفتاة لا تتلمذ ما تطلبه فهذه مشكلتك وعليك أن تشكوها .. ثانياً :
لنا متزوج .. »

قال الألماني ، بلا تعبير على وجهه :

« وزوجتك بعيدة جداً .. لربما كان من حقدك أن تتصرى قليلاً .. دعك من أن الفتاة فتنة فعلاً »

وقبل أن يعنى (علاء) كان الألماني قد فر .. هذه من تلقنيات (علاء) نفسه عندما يهاجم ثم ينسحب قبل أن يتلقى الرد .. وسمعه (علاء) ينادى :

« (أونولها) .. هلا جئت هنا ؟ لقد تأخرت في أخذ هذه العينة »

الغزال الرشيق يخرج من الدغل بحثاً عن ينبوع الماء ..
زرافة .. هذا هو اللفظ الأثني .. النظرة الوجلة قليلاً تضيق

إلى بقعة التشبيه .. إنها قلعة .. قلعة .. جيايونجا ..
جيايونجا ..

ألفت نظرة عابرة على (علاء) ، كأنما تطمئن على أنه
موجود ، ثم لحقت بالألماني ..

★ ★ ★

« هي لم تعد تنفذ إلا تعليمات شخص واحد ! »

« أنت تعرف .. أنها تركتنا عندما جرحت أنت ، وعادت
عندما عثت أنت .. إنها ممرضة طبيب واحد .. وأنت تعرف
هذا .. »

★ ★ ★

تلمبحات وجدت طريقها إلى عقله الباطن ، وظلت تتصارع
هناك .. حتى أذهبت بعضها البعض ..

يتذكر وجه (برنات) الرقيق الشاحب .. بالذات في أحب
وضع لها عنده : التشبيكة .. ثم يتذكر (لونيوا) وهي تجلس
نظرة للأرض ، والدمع متجمد في عينيها .. غزال بك يظري
للأرض .. الشعر المجعد الذي يضيف طعناً خاصاً لجمالها ..

بشعر بالاختناق وينظر إلى المسقف ..

يا رب .. لتنته هذه الأيام بسرعة .. فلتحملني أول قطرة
إلى (الكاسيدون) بعيداً .. بعيداً ..

كان (علاء) شعر بتعاسة لا حد لها ، ويحاول ابتلاع
شعور غامض يتلاعب في روحه هذه الأيام بالذات ..

لأم المرأة كان يشنّب لحيته .. بعيد رسم الدائرة المحيطة
بلمه .. عندما جرح وجهه .. ثم يصب بذعر أو يفعل أى
شيء .. فقط وقف كالصنم يراقب قطرة الدم تسيل .. تسقط
على فتلته الداخلية ..

معنى هذا أن هذا ليس دمي بالضبط .. معه شيء آخر ..
معه دم آخر ..

مائة وعشرون يوماً .. سوف تعيش هذه الكريات مائة
وعشرين يوماً .. هل تكسر الكريات على أن تسفر كبريتك لها ؟
ثمة شيء كالسحر .. فهل هذا ممكن ؟

سحر ينتهى خلال مائة وعشرين يوماً من منها غدير ..

يخرج إلى وحدة (سافرى) الخلفية .. يقرع باب
(مكلفين) .. الطبيب الأسكتندى الأصلع يجلس أمام
التليفزيون بغيره الداخلى الأزرق ..

قال له (علاء) باسمًا :

- « يبدو أنه غير متين فعلاً .. »

قال (مكلفين) :

- « الأزرق هو خير الأنواع .. لنا نست مطلقاً عندما يتطرق
الأمر بالشراء .. إلى أين كنت ذاهب ؟ »

- « (نيربان) على الأرجح .. هل تخرج معي ؟ »

قال الطبيب ، وهو يقلب قفاز التليفزيون :

- « لا أريد ، لكن ضميري سيؤنبني لو نبحوك هذه
المرة .. »

- « لا تقلق .. سأعود في وقت معقول .. »

- « إن اعتبر أنني أرفض .. »

وهكذا غادر (علاء) للوحدة للمرة الأولى منذ إصابته ..

بعد دقائق كان في سيارة (المعنى باص) التي تتنقل ما بين (سافاري) و (ديربان) ، يختلق بين الركاب الذين يحملون أشياء كثيرة جداً .. إنها الخامسة عصراً .. سوف يعود في وقت معقول ..

هناك في (ديربان) توقف عند تلك المرأة التي تلف تحت مظلة وتبيع بعض الحلوى المحلية .. مد يده إلى عقد وجده .. هو لا يفهم هذه الأشياء ، لكنه بدأ له جميلاً .. وكله منوم مد يده فدفع ثمنه ، وتناوله من المرأة التي حرصت على أن تقدمه بيدها اليمنى كالعادة ، وهي تصننها براحة اليسرى ..

لمن اشتراه ؟ لم يعترف لنفسه بهذا ..

فقط عندما شعر بيد رقيقة تلمس معصمه ، وصوتها يقول :

« كم دفعت لـ (اسمي) العجوز ؟ »

التفت للوراء ليراها هي بالذات .. (أونوايا) .. هل تعيش في (ديربان) للأبد ؟؟؟ كيف تجده بهذه السهولة في هذه البلدة المزبحة ؟

مدت يدها تمسك بالعقد ، ورفعته لتراه فى النور بشكل
لوضح ..

قل لها السعر ، وأردف :

« لا تفاصيلها .. أنا أكل دفع هذا الثمن .. لو لم يكن
ثمن العقد فهو ثمن الهدية .. أمقت أن أرى أحداً يفصل
فى ثمن هدية .. »

« لا .. هذا كثير .. إنها تعتبرك سافحا .. »

ثم انقضت على العجوز التى كانت تعرفها وتحبها كما هو
واضح .. ودارت محادثة بلغة الزولو المليئة بطرقعات
اللسان ، وفى النهاية استعادت نصف المبلغ الذى دفعه
وأعادته له .. العجوز راضية سعيدة برغم هذا .. ووضح
أنه كان أحق ..

قلت له ، وهما يتعدان :

« هذه التحف جيدة الزولو صنعها .. لكن هؤلاء
النسوة اعتدن أن يضاعفن الثمن ثلاث مرات عندما يرين
سافحا مثلك .. قالت إبنى تأخرت لكنى أصررت على السعر
الحقيقى »

لم يتكلم (علاء) .. فقط استكت يداه تحملان العقد لتلفاه
حول عنقها الطويل التحويل .. لم تتكلم لو تعترض .. فقط
طرفت .. أهدابها الطويلة تجرحان خديها ..

- « لماذا ؟ »

- « لأنى أريدك .. »

ثم ابتسم ، وأضف :

- « هل فهمت الآن لماذا لم أجرب للفصل معها ؟ أنا
لست أحمق .. فقط لم أريدك .. »

فالت دون أن تضحك :

- « هل لديك ارتباط معين ؟ هل هناك وردية لليلة ؟ »

قال ، وقلبه يرتجف :

- « لا .. »

- « إذن أترك نفسك لى .. لليلة أنت ضيقى .. صافوك
إلى عالم لزولو الحقيقي ! »

هذا استكمل هذه الحكاية .. لقد صار النوم هو
صديقى الأمين كما تطمون ..

الليلة السابعة

مرحباً بكم ..

نحن الآن فى (توجيلا فىرى) .. بعبرة فى قرية جولها ..

هذه هى أكواخ الزولو التى شبهوها يوماً بأنها تشبه أعشاش النحل .. مجموعات من الأكواخ تحيط بالمشية .. يطلقون على هذا التكوين اسم (كرال Kraal) ..

(علاء) يجلس جوار (أونوايا) .. هذه هى قريتها .. هذا هو عالمها الحقيقى .. لقد وصلا هنا بعد رحلة استغرقت ساعة أو أكثر بتلك العربات لك (مينى باص) ..

النار تتأجج فى ساحة القرية .. لقد جن الليل ، وكان يعرف أنه سيركب مواصلة مرهقة إلى (ديربان) ثم إلى وحدة (سلفارى) ، فلن يصل هذه الأخيرة إلا صباح غد .. لكنه لمسبب ما كان يشعر بالانطمئنان معها .. إنها تعرف كل شيء .. سوف تحميه .. فكر فى هذا ، وغلب قهقهة كانت تغلبه ، لأنه فطن لما فى هذا من مخفية ..

كان لها سبعة إخوة من الذكور ، وقد ذكرت له أسماءهم لكنه نسبها على الفور طبعاً .. أمها العجوز .. رئيس القرية الذي يطلقون عليه اسم (نكوسان) .. وقد قبلت الفتاة يده ، وقالت له العبارة التقليدية التي يقال للزعماء :

« أنت الثور الذي يحمل الأرض ! »

جلست العجوز جوار النار واللهب يتراقص على جلدها الأسود ، وكما أحكى لكم الآن قصتي هذه كانت هي تحكى قصة طويلة ..

الفتاة تترجم له ما يقال :

« في البدء جاء (أنكلانكولو) القديم إلى الأرض وقد خرج من مستنقع .. أرسله إله السماء (أومفليينكاتجى) أبو الرعد والزلازل .. هناك (مامبلامبو) الحسنة أم الأنهار .. و (مابلما مواتا وازيمبا) أم قوس القزح .. حامية الزراع .. »

ثم توقفت عن الترجمة ، وقالت له :

« طبعاً هذا هراء وشئ .. أنا لم أعد تؤمن به ، لكنى لا أظهر هذا .. تعامل معه كسلطانير مصلية لا أكثر .. »

هز رأسه أنه مستمتع بما يقال .. فواصلت الترجمة :

- « (مبابا مواتا واريما) هي التي اخترعت الجعة .. »

ابتسم (علاء) ، وهمس :

- « يبدو أنها كانت رائقة المزاج .. عندنا في مصر

يلعب (أوزيريس) الدور ذاته .. »

- « (أولاكيتا) .. القرم و (إنتولو) الذي هو خليط من

بشرى وسحلية .. إنها تذكر هذه الأسماء قبل أن تتكلم عن

تاريخنا .. لقد كان أسلافنا من (قنجوني Nguni) يعيشون

في وسط إفريقيا .. في أرض يطلقون عليها (إمبو) .. »

هنا بدأت نغمة غناء تتصاعد ببطء ..

- « استقرنا في هذا الوادي الخصيب .. وكان من بين

المستقرين (مالاندولا) .. أنجبت له زوجته ابنين .. أحدهما

كان يحمل اسم (زولو) .. زولو معناها (السماء) .. ومن

نسله جننا .. في العام ١٨٢٤ أقيم البريطانيون مركزاً تجارياً

في (قنقل) وهو ما صار (ديربان) اليوم .. حاربهم الزولو

بمسالة وقوة .. وفي تلك القرن جاء الزعيم الأسطوري

(شاكَا Shaka)

هنا تعالى صياح القوم :

.. شاكا زولو !!

وضربوا الدروع في ذات الوقت ضربة واحدة جعلت
(علاء) يثب في الهواء مترين ..

.. « هو الذي وحد شعوب الزولو بقوته ، وحكم البلاد
كلها ، ربما ببعض القسوة ، وقد أغار على القبائل مراراً
ليمتصها فتصير جزءاً من قوته ، صانعا جيش الزولو
للرهيب .. بعدها قتل غيلة أخوه (دينجين) وخلفه
في الحكم .. وفي النهاية استقر الحكم عند (سيتوايو)
الذي حارب البريطانيين .. وكانت موقعة إيمندواتا عام
١٨٧٩ قتل أباد فيها الزولو ١٢٠٠ بريطاني ، وكانت
شجاعة زولو هي السبب ، بالإضافة إلى خطة فاشلة وضعها
قائد البريطانيين لورد (تشيلمز فورد) الذي جزأ قواته ..
فكانت هزيمته ساحقة ، ومن هذه اللحظة دخل اسم (شاكا
زولو) عالم الغربيين .. وصار يثير الرعب في قلوبهم .. »

.. شاكا زولو !!

وضربوا الدروع ضربة واحدة فتجمد الدم في عروقه ..

كفت على حق .. فمذ وطأ (علاء) قلب القارة الإفريقية ،
وهو يعرف أن الرعب يقتن بثلاثة أسماء : (المصاي)
فى كينيا ، (الزولو) فى النتال (الكيجاتى) فى الكونغو ..

« .. عد البريطانىون لينتقموا فى معركة (لولوندى) ..
فاستسلم الزولو للأقوى .. ولكن تكررت ثوراتهم من حين
لآخر .. ثم جاء (البوير) ليمحقوا (الزولو) أو هكذا حسبوا ..
وصارت النتال خليطاً من مستعمرة بريطانية وهولندية ..
ثم صارت جزءاً من اتحاد جنوب إفريقيا عام ١٩٦١ .. إلا أن
سياسة الأبارتايد والخطرة الهولندية المعروفة جعلتا البلاد
بوتقة تظلى .. حتى عام ١٩٩٤ »

.. شاكا زولو !!

وضربوا الدروع فى ذات الوقت ضربة واحدة جعلت قلبه
ينسى ضربتين ..

أرك (علاء) أنها لم تعد تترجم .. بل هى تلقى
محاضرة تاريخية ..

ونهض مجموعة من الشباب ليمارسوا ما يشبه لعبة
التحطيب فى ريف مصر .. إنها الـ (أومشيزا) ..

كانوا نمونجا للقوة والصفوان .. اجسامهم الصلبة السوداء
مبللة بالعرق في ضوء الذهب ، بينما المنشلون يرددون :

« عار على الجبان الذي يظل في كوخه حتى يحترق ..
اخرج وقاتل .. هيه هيه يى يى يى ا »

هل سمع هذه الأغنية من قبل ؟ لا ينكر .. لكنه شعر
بشيء مألوف عندما ترجمت له الكلمات ..

نقول له :

« إنهم لشرس المقاتلين طرأ .. لا تكسب عداوتهم
أهذا .. كن صديقهم يعطوك كل شيء ».

نهض رجل يضع قناعا وقد تزين بريش للطيور وراح
يرقص بدور ..

همست (أونواها) لـ (علاء) :

« هذا هو الطبيب الساحر أو (ستاجوما) بلغتنا .. »

همس (علاء) بينما انقضاء الشجى يعث بأعصابه :

« هل تقومون بهذا العرض للفريد كل ليلة ؟ »

ضحكت ، وقالت :

- « بل هو من أجلك يا دكتور .. من أجلك فقط ! »

- « عار على الجبان الذى يظل فى كوخه حتى يحترق ..

الخروج وقتل .. هيه هيه يى يى يى ! »

الشباب يتصارعون بالرماح والدروع .. ضربات مرعبة

قوية جداً فلا تمنى أبداً أن تكون خصمهم .. الأغنية

تتصاعد .. ثم تنخفض فلا يبقى إلا صوت دقات خشبية

خالقة مستمرة ، كأنها (بطانة) للفكرة القادمة ..

قلت لـ (علاء) ، وهى تنزع حذاءها :

- « لا أفعل هذا عادة ، لكنى سأرقص من أجلك فقط ..

هذه رقصة (لوبولا) .. وتحكى عن تهويض الأب عن

زواج ابنته .. »

ونهمت لتقف جوار النار .. ثم رفعت ذراعيها وراحت

تحركهما حركة رتيبة متواصلة ، كأن الكهرباء تسرى

ففيهما .. ثم راحت تتسابق من مكان لمكان .. بينما أغنية رائعة لا يفهم حرفاً من كلماتها تخرج من بين شفتيها ..

كانت تلبس ثياباً عصرية على عكس فتية القبيلة الذين كانوا يلبسون زي القبائل البدائي ، لكن هذا لم يمنعها من أن تجيد .. الآن انطلقت القوى من عقلها .. تلاشت الممرضة الهائنة التي كانت تعمل معه في الصباح ، وصارت كأنها إحدى فتيات القبيلة .. إنها تؤدي حركات كانت تؤذيها النسوة أمام (شاكازولو) من مقلتي علم ، وهي تحفظها تماماً .. العقد الذي أهداه لها يتوهج على صدرها في ضوء النار ..

من أجله فقط .. هي أدبرت كل هذا الحفل من أجله فقط ، ومن الجلي أنها ذات شأن كبير وسط قريتها .. كل الشيب والذين تصارعوا والذين رقصوا وهي نفسها .. كل هؤلاء فطوا ذلك من أجله هو ...

لما انتهى الحفل كان (علاء) شبه مخدر .. لا يصدق له رأى ما رأى وعش ما عش .. هل هذا هو الحاضر

أم لته قد عاد للوراء منلت الأعوام ؟ لا يريد أن يرحل ..
لا يريد أن يفيق ..

قالت له ، وهي تمسك بيده :

- « فلتحى الزعيم ثم دعنا نرحل .. سوف نصل إلى
(سافاري) في ضوء الفجر .. »

★ ★ ★

قالت له :

- « أنا أعرف قومي وأفخر بهم .. هذا كل شيء .. »

★ ★ ★

كان (علام) يترنح عندما يخل الضرب في الصباح ..
لم يكن قد تلم حقيقة واحدة ، ولم يفلح كل ما شربه من
قهوة في إعادته لوعيه .. لقد كان يمشي على قطن
لو سحب ، وكنت ردود فعله تتأخر حقيقة على الأكل ..

لماذا يتذكر (برنات) كطيف صاحب بعيد ؟ يتكرها
بكثير من العصر فعلاً ، ولا يحركه إلا شعور بالواجب ..
يجب أن يفعل هذا ولا يريد بهذه الدرجة ..

احمرت عيونكم وتوارى القمر خلف الأشجار .. لرى أن
بعض الأطفال قد ناموا ، و(مجولوا) الصغير قد تكوم
كالشئ .. هو مقياس يقى على أثنى أطلت ..
ساتوقف هنا يا أهل قرىتي الأعزاء ..



الليلة الثامنة

مرحباً بكم ..

قد مر شهران ونيف الآن على (علاء) فى (النزال) ..
 إنه يتألم بسرعة لو كنتم قد لاحظتم .. صار مهماً فى مكان
 عمله ، وإن ظل بحاجة إلى شئئين : أن يعود إلى وطنه ..
 وأن يعود إلى تلك القرية قرب (توجيلا فيرى) .. تتألم
 عذيب لكنه صحيح ..

اتصل بوحدة (سافارى) فى الكامبيون وطلب من
 السكرتيرة أن توصله بالمدير .. أخيراً جاء صوت (بارتلييه)
 البدين .. أعنى بالبدين صوته طبعاً .. فأوشك (علاء) على
 أن ينكمش ليتدفق عبر أسلاك الهاتف ..

- « (علاء) .. كيف حالك ؟ »

.. « ما زلت حياً يا سيدى ، وإن كنت أهلك خطرة
 نوعاً .. »

- « لماذا ؟ لا توجد اضطرابات سياسية .. لقد هضمت هذه المنطقة مستقرة »

- « هناك اضطرابات أمنية .. على كل حال متى تستردوننى ؟ »

فكر المدير قليلاً ، ثم قال :

- « يجب أن يحددوا هم هذا ، ثم يوافق المركز الرئيس فى النمسا .. أنا لم أختار لك النفى يا (علاء) .. »

انتهت المكالمة ، فاعتصر السماعه واستجمع أنفاسه ..

لحق أنه لم يكن خائفاً من البلاد .. من المرض .. من العصابات فى الأرقه ..

كان خائفاً من ذاته .. من ذلك الشعور الذى يتلمس هناك بداخله .. إنه مقبل على مصيبة وهو يعرف هذا ويحاول تحاشيها بقدر الإمكان ..

ضغط السماعه على صدره ، وراح يهمس مفضض العينين :

- « سيدى .. ألتقننى أرجوك .. أتوسل إليك أن تفعل .. »

كانت تلك المريضة المدعوة (ألونا) ترقد في الفراش وقد تشبّثت بالملاءات بتلك الطريقة المعروفة باسم (Carphology) .. إنها تشعر بأنها تغوص في الفراش ، لذا تحاول أن تمسك بجانبه ، وهي علامة لكيدة على نحو الموت ..

ضغطها غير محسوس .. العرق البارد يحتشد على أعلى شفتيها .. وتأمل (علاء) كيس البول فوجده شبيه خال .. كليتها تلت أو موشكة على ذلك ..

هكذا صاح مناديا الممرضة .. هرعت الفتاة للتشيكية ذات النمش ، وزابت من تنطق المحلول في الفتاة الوريدية .. كانت هناك قناة أخرى تصب مادة (الدوبامين) في دم المريضة ..

قلت له ، وهي تراقب المحلول :

« نحتاج إلى قياس ضغط الأوردة المركزي CVP .. »

« هذا غير مستحب .. لن نعرضها لأية عملية قد تجلب

المزيد من العدوى .. لاحظي أنه لا مناعة لديها على

الإطلاق .. »

كان الفراش مهتلاً بسبب شلال الإسهال المتفجر من المريضة .. إسهال (الكربتوسبورديوزس) الذي لا علاج له .. هذا كائن مصالم يعيش في أمعائك وأمعاني ولا يستطيع أن يؤذي نهاية ، لكنه عند مريض الإيلز يتحول إلى طاعون قاتل .. إن الإسهال يفتك بالمريض ويجفف كل منابع الحياة فيه .. تسألونني من أين لى أن أعرف أشياء كهذه ؟ ألا تعلمون ؟! أه (مزى) يعرف كل شيء ويستنتج الباقي .. إننى لم أتل لقب (مزى) بالصدفة ، وإلا لظلت (كوتاجا) إلى الأبد !!

فنا منه الطبيب الأكماني ووقف يرقب المشهد ، ثم دنا من وجه المرأة وسألها بلغتها عن شيء ما فأغمضت عينيها أن نعم .. مد يده وثبت قناع الأكسجين على أنفها .. - « سألتها إن كانت بخير فلم تقو على قول لا .. قالت نعم بعينيها لتكرمنى .. »

من جديد يستعيد (علام) ذلك الشعور القاسى بأن الموت يحوم حول الفراش .. يتمنى لو قاموا بتطوير الفراش كما فى الأسطورة المجرية ..

قال الأكماني ، وهو ينظر إلى شاشة المرقاب :

- « طلبت من (أونولبا) أن تحقنها بمحلول يحوى
 - (دوبامين) لكنها تأخرت .. فى كل مرة تتأخر ..
 لا تؤاخذنى لكنى سأقدم شكوى رسمية .. »

نظر له (علاء) فى تحد ، وقال :

- « ما دورى فى أن تؤاخذك أو لا الفعل ؟ »

لم يرد الألمانى .. لم يرد أن يتحول الأمر إلى مشادة ..
 هنا أضاف (علاء) :

- « بالمناسبة .. أنا طلبت منها أن تنتظر قليلاً ..
 لو أريت أن تقدم شكوى ، فلكن أنا من تشكوه .. »

كان هذا كذباً .. لكنه قطعها بكامل إرادته .. ما جدوى
 معقبة للممرضة النشطة وهى لم تؤذ المريضة بشكل
 واضح ؟ لن يجدى (الدوبامين) فى شيء وكلاهما يعرف
 هذا .. تأخيرته بقيقة لن يقتل المريضة ؛ لأن مرضها قتل
 بشهادة كل مراجع الطب .. هم فقط يفعلون ما يجب عليهم
 عمله ..

ثم إنه موافق أنها لم تتأخر .. الألمانى يتحرش بها ..

نظر له الأكملى فى ثبات ، وقال :

- « طبعا أنت تقول هذا فقط .. »

هنا احتاج (علاء) ، فنظر فى تنمر إلى الرجل ، وقال :

- « لسمعى .. لم أعد لتحمل المزيد من هذه التلميحات ..

فلتنة الأمر معاً خارج الوحدة ! »

نظر له مذهولاً :

- « هل تضى ما تقوله فعلاً ؟ على طريقة رجل الكهف ؟ »

- « بل على طريقة الرجال .. »

قال (فرتايمر) ، نون أن ينظر له :

- « الرجال المتحضرون لهم طرق أخرى للتصوية .. »

ثم ابتعد مع الممرضة التشيكية ، ويبدو أنه شعر بأن الأمر يدخل مرحلة الجذ الخضير .. جلس (علاء) جوار فراش الأم (لونا) شاعراً بالحسرة .. من المستحيل أن ترى غروب اليوم .. مد يده يربت على يدها السوداء طويلة الأظفار ..

باردة .. باردة .. خلفه .. خلفه ..

هنا شعر بمن يقف جواره ..

التفت للوراء فرأى (أونوا) .. العقد بارز واضح على صدرها .. العقد الذي أهدها لها .. كانت تنظر في جدية وحنان إلى المريضة ، ثم قالت له في حزم :

- « من فضلك .. »

وجلست على ذات المقعد .. مدت يدا تعصر يدي المريضة ..

قال (علاء) :

- « لماذا تأخرت في إعطائها له ... »

- « ش ش ش ش ا »

قلبتها بإصبع على شفتها .. ثم قربت وجهها من المرأة وبدأت تهمس لها .. تهمس لها مقاطع طويلة من لغة الزولو .. تفرك يديها .. تهمس .. ثم يتهدج صوتها في أغنية طويلة هامسة ..

بدأ المنظر لـ (علاء) كأنها تنقل صلاة الموت بجوار فراش المحتضرة ، لكن المرأة تصفى للكلمات باهتمام .. فجأة ! تنفج شفاتها عن ابتسامة صريحة ..

سأل (أونواليا) بالإنجليزية التى لا تفهمها المريضة ، وهو يرقب هذا المشهد العجيب :

- « صلاة هى ؟ »

قالت (أونواليا) ، وهى تترك يدي المرأة فى قوة :

- « بيبو (نعم) .. أحدى لها تكريبات باسمه من أرض الزولو .. أحدى عن (أكلاتولو) و (ماملامبو) .. إننى أخلف عنها ، فلا تستقل هذا الذى لفعله .. »

انظر المرأة تنغمس فى كف (أونواليا) .. فجأة ! رأى (علاء) الدم يسيل من موضع الخدوش .. بالله عليك ! خذى الحذر .. أنت تتعاملين مع مريضة يئز ! صحيح أن معها هو للخطر لا بكم ، لكن من ضمن ما على بالفلارها ؟

(أونواليا) ترفع كفها وتقرّب الجرح من شفتي المرأة .. تمرر يدها .. هنا بدأت المرأة تهدأ ..

هتف (علاء) ، وهو لا يبعد عنه عن المشهد :

« ماذا تفعلين ؟ »

« أنكرها بدم الزولو الذي يجري في عروقها .. إنها
تتحسن .. مغنوية على الأكل .. »

ونهضت وهي تلهث .. وأخرجت منديلًا ورقيًا من جيبها
لفت به الجرح ، وقالت ، وهي تهتد :

« سوف يمنحها هذا ساعات هائلة .. »

لكن (علاء) ظل ينظر إلى العجوز في ذهول ..

تنظرة إلى المرقاب ليذكر أن الأمر ليس مغنوية تمامًا ..
ضغط الدم يرتفع .. ونظر إلى كيس البول فوجد عدة قطرات
قد احتشبت في قاعه ..

★ ★ ★

كان جالما في الكافتيريا يلتهم الغذاء ، عندما انت حاملة
صينية ووقفت جواره ، ثم سألته :

« هل لي أن أجلس يا دكتور ؟ »

« تعرفين الإجابة .. وسأكون شكراً لو تلبتيني
بـ (علاء) فى غياب طرف ثالث »

جئبت مقعداً وجلست جواره .. هذه هى مزبة للعلاقات
هنا .. الكل منهمك غير راقى المزاج .. لن يقضى ألف
واحد من الجالسين فى الكافيتريا ساعات يتفلمزون
ويلمحون .. لو حدث شيء كهذا فى مصر لكنت (فضيحة
بجلاجل) ، كما يقول المصريون ..

سألته ، وهى تأكل برشاقة من طبقها :

« لماذا ؟ »

« لماذا ماذا ؟ »

« لماذا ادعيت أنك من طلب تأخير إعطاء العقار ؟ »

لم يجد ما يقول فظل صامتاً يلتهم الطعام .. لما عرفت
أنه لن يرد قلت :

« جيبونجا .. »

« وهل تلخرت فعلاً ؟ »

- « في كل مكان يتهمونني بذلك .. لكني بريئة .. إنهم يتحرشون بي لأنني سوداء ، ولأن (الأبارتايد) ما زال في رعوسهم »

عاد يفكر ثم سألها :

- « هل استعملت السحر مع تلك المريضة ؟ سحر الزولو القديم أو شيء من هذا القبيل ؟ أريد إجابة صريحة .. »

قلت في حزم :

- « لا أعطى إلا إجابات صريحة .. الإجابة هي (لا) .. أنتم تؤمنون بالإحياء والتتويم المغناطيسي والتلقين الرجعي الإيجابي .. أنا فطت هذا بالضبط .. لو فطه أحدكم لما قهمتوه بالسحر .. »

- « لكن هذا أدى لمؤشرات إيجابية ملموسة .. لقد تحسنت القراءات .. »

- « أنتم تؤمنون بتأثير (البلاسيبو Placebo) .. كقرصين من الجيلاتين يتلعها المريض حاسبا أنها دواء .. وهرغم هذا يشفى .. وقد قال المسيح : يا بنة .. إيمانك قد شفك »

ثم عثت فى طبقها قليلاً ، وقالت :

- « كل ما حدث هو أننى حاولت منحها ساعة أهدأ ..
هذه من فنون الزولو ، لكنى لا أملك لها الشفاء .. »

ثم ضحكت ، وقالت له :

- « لو كنت تريد سهرة أخرى من سهرات الزولو فليكن
هذا غذا .. ما رأيك ؟ »



عندما عادوا إلى العنبر بعد الغداء كان المشهد مروعاً ..

عرف (علاء) على الفور معنى الملااة والمحفة
الواقعة جوار الفراش ، وعاملة التنظيف التى تقف جوار
بلو تفوح منه رائحة (الجلوتارالدهايد) ..

دنا من الجثة ، فقالت للممرضة الفلبينية :

- « حدث هذا خلال عشر دقائق .. حاول د. (ملاكلاين)

بلا جدوى .. »

سمع (علاء) صوت شهقات فالتفت إلى الوراء .. ككت
(لونواها) تشهق بلا توقف .. بالأحرى ككت تبكى وهى
تنظر إلى الجنة ..

.. « لقد تأخرت كثيرا ! تأخرت كثيرا ! ما كان يجب أن
أضيع الوقت فى الغذاء .. »

وضع (علاء) يده على يدها ، وهتف :

.. « ماذا كان يومك عمله ؟ كنت تعرفين أنها ككت ميتة
تمشى على قدمين ! أنت بنفسك قلت إنك لم تطفى إلا تقديم
عون مضمون لها .. »

.. « كان يوسعى أن يساعدنا أكثر .. لقد تأخرت ..
تأخرت .. »

ثم قطعت مبتعدة وهى تلفن وجهها فى كفيها .. غزال
إهريقى يفر إلى الدغل ..

وتوقف (علاء) متصنبا .. ينظر للجنة .. للدلو ..
للعملة .. للممرضة ..

إن القصة غريبة .. غريبة بكل تأكيد ..

الآن أرى البعض يتأهب .. العيون احمرت ووجه لمشهد
غريب فى وجوه سود .. البرد .. دخان النار .. المسهر ..
كل هذا جعل عيونكم كجروح متفرحة ، وإنسى لاقتراح أن
استكمل القصة غدا ..



الليلة التاسعة

مرحباً بكم ..

الآن اجلس في مجلسي المفضل على جذع السنديقنة
للعجوز .. مرتفعاً عن الأرض ، فلراكم جميعاً ترفعون
الرؤوس لأعلى مترقبين ..

سأحكي لكم الليلة عن مصري يدعى (محمود لطفى) ..

كان (علاء) يتناول الغداء في أحد مطاعم (ديربان) ..
هناك مطعم هندي لا بأس به ، وقد اعتاد أن يتردد عليه كلما
سمح له الوقت بذلك .. يطلب عشرات الأصناف من النادل ،
فيهرز هذا رأسه في تكاء مريداً عشرات المرات :

« جى .. آتشا .. آتشا .. »

ثم يتصرف ليعود بطبق الأرز بالكاري ومعه ماتجو مخلل
ولا شيء سواهما ! وقد تعلم (علاء) أن يستسلم للأرز
لأنه على كل حال ..

كان يلتهم الأرز بالكاري ، عندما نظر إلى المنضدة المجاورة
 فرأى تلك الملامح .. الشعر المجعد ليس لدرجة الأكلقة واللون
 القمحي ولعين الخضراء ليس لدرجة الأوروبيين .. ثم سمع الرجل
 يكلم النادل الهندي فعرف اللهجة .. لا يمكن أن تخطئ طريقة
 نطق المصريين للإنجليزية أبداً .. تعرفها من بين ألف لهجة ..
 نظر للرجل ونظر له الرجل .. لحظة تساؤل ، ثم سأله
 (علاء) بالعربية :

- « من أين ؟ »

قال الرجل ضاحكاً :

- « من المنصورة طبعاً .. هل تتصور مكثنا آخر ١٢ »

هذه اللحظة المرجفة عندما يقابل المصري مصرياً آخر
 في غربة .. وفي (التقتل) بالذات .. وهكذا صارت المنضدتان
 منضدة واحدة وراحا يثرثران .. الرجل ظريف فعلاً .. وعرف
 (علاء) أنه ضابط يتبع قوات حفظ السلام في الإقليم ..
 فقط كان يثيابه المدنية ..

- « هناك أكثر من مصري معي في هذه القوة .. لكنهم

لم يأتوا الليلة .. كانوا سيسرون لرؤيتك »

قضى الشبان يوماً كاملاً في التجوال .. شاكساً كل بائع
عرفاه ، ومارساً الهواية المصرية في الفصل مع انعدام نية
الشراء .. مرحة كثيراً وثرثراً كثيراً ..

- « شباب (شبرا) هم للجدعان فلف في مصر .. »

- « أصغر شاب في المنصورة يتهم منكم خمسة على
الإفطار .. »

وعندما غربت الشمس عرف (علاء) أنه على الأرجح
لن يلقاه ثانية .. وهكذا تحركت عقدة (جاز للقطار)
لشبهة .. عندما تحكى لدى أسرارك لشخص لا تعرفه
لمجرد أنك لن تلقاه ثانية ..

كثما يلتقيان عند الميناء يرفقان الونش العسلي يرفع
حاويات عملاقة بدورها .. وحوش تمارس حياتها المرعبة
في ضوء الغروب ..

عندما قال (علاء) حالماً :

- « أريدها .. »

قلها ببساطة ، لكن روحه كنت تتكلم ، لو كان للروح صوت ..

نظر له (محمود) ولم يتكلم .. لقد عرف الآن كل شيء
عن القصة بأكملها ، كأنه كان يجلس حول هذه السنديقنة
العجوز معنا ..

قال (علاء) من جديد :

— « يطم الله أنى قاومت هذا الشعور مراراً .. لكنه
سحقنى .. »

ثم تحسس معصمه ، وهمس :

— « كل خلية هنا تحمل اسمها .. »

ضربه (محمود) بقبضته ، وقال مقلداً صديق للبطل
فى الأفلام العربية السخيفة :

— « تبقى وقعت يا بطل .. ها ها ها ! »

لكن (علاء) لم يتكلم .. ولم ترق له الدعابة ..

فجأة ! انفجر فى البكاء ..

جلس على الأرض المتمسكة وترك ساقيه تتدليان خارج
للرصيف فوق سطح الماء ، وراح ينشج كطفل فى الخامسة
تخلت عنه أمه .. بينما (محمود) يصيح به :

- « بسم الله الرحمن الرحيم ! ماذا هناك ؟ كنت بخير
 حال .. هل جئت يا صاحبي ؟ »

★ ★ ★

قال (علاء) له ، وهما يمشيان في شوارع المدينة
 التي بدأ الظلام يغزوها :

- « لنكر أغنية قديمة لـ (إيزاك هايز Isaac Hayes)
 يقول فيها : لو كان حبك خطأ فلا أريد أن أكون على
 صواب .. »

كان (محمود) قد اكتسب جدية واضحة .. يستطيع أن
 يكون مهرجاً إذا أراد ، لكنه كذلك يستطيع أن يكون جاداً
 كالقهر .. قال له :

- « بصرف للنظر عن الرومانسية الزائدة ، فإن وضعك
 خطير وحساس فعلاً .. لا تبدو لي مراحقاً يا صاحبي ، فهل
 أنت مقدر لحساسية الموضوع ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

- « هل تخليت عن حب زوجتك ؟ تلك الكندية ؟ »

- « لا .. ما زلت أحمل لها المشاعر ذقتها .. كنت لأصب
الحب كيئاً لا ينقسم ، فإذا منحت نصف حبك لامرأتين نالت
كل منهما نصفه .. الآن أعتقد أنه يتناسخ كالأميبا .. كل
واحدة تظهر بالقدر ذاته .. »

قال (محمود) :

- « هذا ما تعتقده أنت .. تذكر أنك لن تعدل .. وهذا
يقولنا لسؤال آخر .. طبعاً أنت راغب في الزواج .. »

- « لم أتعلم سبباً آخر للظفر بمن أحب .. »

- « جميل .. جميل .. إذن لماذا تعذب نفسك لهذا الحد ؟
لا تكن كبنى إسرائيل الذين ضيقوا على أنفسهم فضيق الله
عليهم .. من حقا أن تتزوج اثنتين .. »

توقف (علاء) وكأنه يعرف هذا للمرة الأولى ..

زوجتان ! لم يتصور هذا قط لكن هذا يبدو هو الحل
للوحيد ..

ثم توقف ..

« ربما كان هذا من حظي ، لكن (برنفت) لن ترى هذا .. سوف تطلب الطلاق وتتلقه .. (أونواها) لن تمقع .. مجتمعا يسمح بذلك .. »

بدأ على (محمود) أنه يعيد حساب الأمور .. ثم قال وهو يشعل لفافة تبغ :

« هذه نقطة .. ثم إنك تزيد متاعك بشكل غير مسروق .. لو تخيلنا أن هذا حدث فلماذا عن زوجتين لجنبيتين ؟ زوجة كندية من ثقافة مختلفة تماما ، وزوجة من الزولو ترقص حول النار وإخوتها يتبارزون بالرماح .. هل تظن الملقى ؟ »

شوق (علاء) كلما يحتوى (ديربان) كلها في صدره ، وقال :

« إن ماذا للفعل ؟ »

« تختار واحدة منهما .. هذا حل .. تنسى الأمر برمته وهذا حل آخر .. فقط كف عن الرثاء لنفسك لأنك لم تملك

العلم .. كم من فتاة حسناء عرفت أنها لن تكون لك ؟ كم من قصر منيف عرفت أنك لن تطأه بقدميك لهذا ؟ كم من سيارة فاخرة فارمة رأيتها وعرفت أنك لن تملك ثمن إطار واحد منها ؟ الأمر لا يختلف يا صاحبي .. مجرد فكرة جديدة تضاف لقائمة الحرمان التي يخفيها كل منا في صدره .. لهذا نحلم بالجنة .. لهذا الجنة ثمينة جدًا عسيرة جدًا .. »

وساد صمت رهيب

وعند موقف سيارات (المينى بلس) الذي يقفه إلى (سافارى) تعاقب الصديقان ، وهما لا يعرفان إن كتبا يلتقيان ثانية أم لا ، لكنهما تبادلًا أرقام الهاتف والعناوين هنا وفى مصر ..

ركب (علاء) السيارة وهو يشعر بالراحة التي يشعر بها مريض القرحة المعوية بعدما يفرغ معدته .. المرض شديد موجود ، لكنها راحة لا تنكر

- « (محمود لطفى) .. »

قللها مغمض العينين في السيارة .. ثم يكن يريد أن
ينمي الاسم ..

ليتي جلت هنا وقابلتك منذ أعوام يا (أونولبا) ..
متأخرة .. دائما متأخرة كما يقولون عنك ...

★ ★ ★

لو كان حبك خطأ فلا أريد أن أكون على صواب ..

★ ★ ★

- « (برناديت) .. كيف حالك ؟ »

جاء صوتها عبر الأسلاك والفياض والأذغال :

- « بخير .. بخير .. كيف حالك أنت ؟ »

استجمع أنفاسه وذلك الدوار يعصف به .. قال بصوت

مبحوح :

- « هناك شيء مهم يجب أن تعرفه .. »

ملا صمت .. العملات تتناقص بسرعة جهنمية ، ثم
سألته :

- « ماذا ؟ »

- « شيء يتعلق بنا .. إن الحياة لن تعود أبداً كما كانت
و ... »

- « (علاء) .. ماذا هنالك ؟ كف عن المقدمات .. »

الأرض تميد به .. ينظر إلى ردهة المستشفى حيث علقت
كابينة الهاتف .. أناس يروحون ويحيون .. لماذا لا يتوقف
العالم ؟ لماذا لا يلتفون حوله فى رعب ينتظرون نتيجة
المحادثة ؟ أنتم هنا يا حلقى لأننى موجود .. وجودكم
معتمد من وعى .. لم تسمعوا عن السوليسزم solipsism ؟
- « الحكاية هى .. »

نفضه يتلشى .. ذلك الصغير .. إنه سيفقد وعيه حتماً ..
- « الحكاية هى أننى أصبت فى حادث سطو .. »

كان بحاجة لاعتراف مخيف ، فلم يجد أكثر من هذا أمنا ..
 به عجز عن قول ما كان يريد قوله ..

وداح يحكى لها تفاصيل حادث السطو ولم يفكر شيئا عن
 الدم الذى تلقاه ..

★ ★ ★

أعتقد أنكم تفضلون أن أستكمل القصة هذا ، فالليل قد
 توغل ...

★ ★ ★

الليلة العاشرة

مرحباً بكم ..

هذه بداية ليلة أخرى نستكمل فيها قصتنا مع ذلك الطبيب الشاب في (التتال) ..

طبيبنا الشاب يواصل جولاته على الأسرة مع طبيب آخر (مكفادين) رئيس الوحدة للشباب الأخرى .. إن الأخير رئيسه لكنه ليس فخوراً بهذا ولا يحاول بأي شكل أن يستعمل سلطته هذه ..

(أونوليا) ليست هنا .. يبدو أنها مكلفة بعمل ما في الوحدة .. معهم الممرض المترجم (بوتليزي) الذي يعاني حالة عنصرية مضادة متقدمة : كل ما ليس أسود مقزّر ومنحط على الأرجح .. كان (مكفادين) قد قلّد (علاء) :

« إنه مريح ما لم تصطدم به .. خذ منه ما تريد ولا تحاول أن تتعالى عليه أو تهينه ؛ لأن هؤلاء الزولو حارو قلباء .. لا تتدهش كثيراً لو غرس مديّة في حنكك »

عندما انتهى للمرور قال (مكفادين) لـ (علاء) ، وهو يقتاده من يده إلى تلك الغرفة الصغيرة التي يجلس فيها :

- « هناك أمور أرغب في أن تناقشها معاً .. »

وجف قلب (علاء) لهذه المقدمة .. من المستحيل أن يفتح معه ذات الموضوع ..

لكن الأسكتلندي قال :

- « تلك الفتاة .. (أونواها) .. »

نهض (علاء) في عصبية كئنه أطلق من عقله ، وقال :

- « في الحقيقة كنت فكرتي عن المجتمع الغربي هي أنه مجتمع (اهتم بشئونك الخاصة Mind your own business) و (عش ودع غيرك يعيش) .. لكن يبدو أنني كنت على خطأ .. أشعر أن هذه الوحدة متفرغة لي بالكامل .. أعتقد أن ما يجب أن أقوله هو : هذه حياتي »

قال الأسكتلندي ، وقد احمر وجهه الذي كان احمر أصلاً :

- « ليس كما تتصور .. لكنني وجدت أنه من الخير لك أن تعرف بعض الخلفيات .. إن (بوتليزي) لديه ما يقوله لك ، لكنني أفضّل أن تجلس معه على أفراد »

كان هذا آخر شيء يريد (علاء) ، فهو لا يطيق الرجل ولا يصدق ..

لكنه شعر بأنه يريد أن يسمع ..

★ ★ ★

دخل الممرض المتأنق ليجلس أمام المكتب ، وقال له (علاء) :

- « أكره أن أتكلم في حق مواطنة من قومي ، لكن أكره أكثر أن يضار أحد بسببها .. »

نظر له (علاء) ولم يتكلم .. كان يشعر بأن الأمر كله مبتذل .. الأمر صار مشاعاً سوقياً .. يدعى له للمرضون ويتناقش فيه الأطباء .. ربما يلف الناس في الطرقات يتحدثون عن الأحمق الذي يحب ..

قال الممرض :

- « أنت لست من (الزولو) »

قالها في اشمزاز ، كأنه يقول (أنت لست بشرياً) ..

- « لهذا لا تعرف أن اسم (لونوا) غير شائع بين

الزولو .. »

فكر (علاء) .. بالعكس .. الاسم إفريقيا جداً .. لكن هذا ليس شيئاً على كل حال ..

أريف للمريض ، وهو يشغل القاعة تبع برغم أن هذا يحدث على بعد أمتار من الغير :

.. « (لونها) عند (لزولو) مضاهها (الحرباء) !! »

الحرباء !

« هناك حرباء تزور أحلامى وتمط لسانها لتبتلعك .. »

« هناك حرباء تتلون بلون الدم ثم تصود ببطء .. لسانها يخرج ليألف حول عنقه ثم يعود .. »

لم تكن هذه أول مرة ينكر فيها اسم للحرباء .. إن هذا عجيب ..

قال (علاء) فى برود :

.. « اسم غير معتاد .. لكن لا أرى أن هذا ممنوع ..
لو تخيلنا أن رجلاً غريباً يدعى (كاميليون Chameleon)
فإن ندهش كثيراً »

قال للمريض باللهجة ثلثة :

— « ألم ترها يوماً تُلقي متأخرة بعد الموت ؟ ألم ترها تولول ، وتقول إنها تأخرت مراراً ؟ »

كان هذا غريباً ، فلجلب (علاء) موهناً :

— « بلى .. هل لهذا معنى ما ؟ »

— « نحن الزولو نتهييها ونبتعد عنها .. في قريتها يجنون شلتها .. لكننا نؤمن بأن الفتاة التي تحمل هذا الاسم ، وتُلقي متأخرة عن موعد الموت هي في الحقيقة (أونوايا) .. الحرياء السماوية .. التي أرسلتها السماء للبشر كي تمنحهم الخلود .. لكنها تأخرت بسبب بطئها الشديد عن الذهاب لهم ، لهذا صار البشر فثنين يموتون طيلة الوقت ، ولهذا يتبدل لون الحرياء العلية ؛ لأنها تنعى تلخر (أونوايا) في إنقاذ البشر .. » (*)

وكان عقل (علاء) قد أخرج شريط التفكير ودسه في آلة العرض ..

★ ★ ★

(*) لسطورة موجودة فعلاً ... فلتتذكر أن كل حرف ينكر في (سافري) حقيقى ما لم نقل العكس ..

« لقد تأخرت كثيرًا ! تأخرت كثيرًا ! ما كان يجب أن
أضع الوقت في الغداء .. »

« طلبت من (لونوايا) أن تحقنها بمحلول يحوى
الـ (دوبامين) لكنها تأخرت .. فى كل مرة تتأخر ..
لا تؤاخذنى لكنى سأقدم شكوى رسمية .. »

« هذه التحف جيدة الزولو صنعها .. لكن هؤلاء النسوة
اعندن أن يضاعفن الثمن ثلاث مرات عندما يرين سائحًا
مفك .. قالت إبنى تأخرت لكنى أصررت على الصبر الحقيقى »
« (لونوايا) .. هلا جنت هنا ؟ لقد تأخرت فى أخذ هذه
العينة

« طلبت وتأخرت فى التنفيذ .. هى لم تعد تنفذ إلا تعليمات
شخص واحد ا »

« آسفة لأننى تأخرت عليك .. كالعادة تأخرت .. »

« تتهمنى بأننى تأخرت فى تسليم الوردية .. وهذا جعل
أحد المرضى يلفظ أنفاسه .. دافعًا تتهمنى بالتأخير .. »

قال له (علاء) ، وهو يشعر بالحيرة :

- « ليكن .. ما الخطر في هذا حتى لو صح ؟ »

قال المترجم ، وهو ينفض غباراً وهمياً عن كتف قميصه :

- « أنت رأيت كيف تعامل المرضى .. رأيت كيف أعادت المريضة لقواها ببضع همسات وقطرات من دمه .. أنت رأيت كيف سحرك لهما .. رأيت قريتها .. أنا أعلم هذا كله .. هؤلاء قوم من السحرة والصوص .. إنها ممرضة بارعة نشطة ولم يستطع أحد قط أن يثبت موضوع تأخرها بشكل رسمي ، ولهذا لا يصدق الأطباء هنا حرفاً من كلامي .. لكننا مشر للزولو نهلبها ونهاب قريتها ، لأننا نعرف معنى أن تحمل فتاة اسم (لونوا) .. أهلها كانوا يعرفون معنى الاسم وبرغم هذا استخدموه .. فما معنى هذا ؟ في قانوننا غير المكتوب تأتي ألف (لونوا) لكن علينا أن نتحاشاهن جميعاً .. »

- « والسبب ؟ يبدو أنها لا تفعل شيئاً إلا للنم .. »

- « إنها تبحث عن زوج في كل مرة .. ونعتقد نحن للزولو أن زوجها يقع فريسة ما يدعى (توكيلوش) ، الذي يخنقه حتى الموت .. لاحظ أن للزولو لا ينامون على الأرض أبداً

بل على لوح خشبي ترفعه قوالب قرميد .. حتى لا ينلم
(توكيلوش) فوقهم .. «

تذكر الشاب لمطورة معاتلة في الغرب هي أسطورة
(الجاتوم incubus) ، فقال في حيرة :

- « (توكيلوش) ؟ زوجها سيموت على يد هذا
الـ (توكيلوش) ؟ »

- « هذا محتوم .. وبرغم إرانتها .. »

ثم دفن المترجم لفظة تبغه تحت حذائه ، لأنه لم تكن هناك
مطفأة ، ثم التفت العقب وكوره بين أنامله ، وقال :

- « لك أن تصدق أو لا تصدق .. لكن لن يقل إن (بونيزي)
الشهم ترك شاباً يمضي إلى حتفه .. »
ثم نهض ..



المخف بعينه ..

لا ينكر (علاء) هذا .. لكنه في الوقت ذاته يفسر أشياء
كثيرة ..

صدى المعاديات السابقة يتردد في ذهنه .. الحقيقة أنه
أحب أن يصدق هذا .. سوف يبرر له هذا ذلك الحب
الحارق .. الحب القاتل لواحدة غير (برنات) ..

قبح السحر .. لقد غلب عن وعيه مروراً من قبل .. لا يشعر
بأنه مسحور هذه المرة ، لكن هذا هو التفسير الوحيد ..

كان غارقاً في هذه الخواطر عندما رآها قائمة من نهاية
الردهة .. الغزال الرشيق عائداً من الدغل ..

تراه فيشرق وجهها ، وتهتف :

« ساكوبونا دكتور ! »

فرد في برود بتحية مملئة .. نعم في نعمي .. هل هي شهامة
خلصة أم أن فرصة الاستحواذ على جاعتك من غير موعد ؟

« الآن انطلقت القوى من عقلها .. ثلاثت الممرضة
لهائلة التي كانت تعمل معه في الصباح ، وصارت كئيباً إحدى
فتيات القبيلة .. إنها تؤدي حركات كانت تؤديها النسوة أمام
(شاكا زولو) من مالتى عام ، وهي تحفظها تماماً .. العقد
الذي أهداه لها يتوهج على صدرها في ضوء النار .. »

« من أجلك فقط .. هي أدارت كل هذا الحفل من أجله
فقط ، ومن أجل أن لها ذات شأن كبير وسط قريتها .. كل

الشباب الذين تصارعوا والذين رقصوا وهي نفسها .. كل هؤلاء فعلوا ذلك من أجله هو .. «

« عار على الجبان الذي يظل في كوخه حتى يحترق ..
اخرج وقاتل .. هيه هيه يى يى يى ! »

المسخر بعينه .. كل هذا الهراء عن الحرياء التي تلخرت ..
هو المسخر بعينه ..

هو يعرف هذا ..

عندما كانت تبعد استوقفها بأن أمك معصمها ..
نظرت له مندهشة ، فقال لها في ثبات :

- « (أوتواها) .. هل تكبلين الزواج مني ؟ »

★ ★ ★

احمرت العيون وكساها لزجاج ، فصار على أن أصمت ..
وصمتاً سافلاً ..

لا تنسوا أن تلتوا هنا بعد الغروب لأنني لن أحكي
ما فلتكم ثاتية ..

من يدرى ؟ عصاها تكون الليلة الأخيرة ..

★ ★ ★

الليلة الحادية عشرة

مرحباً بكم ..

للإحصاف يجب أن نقول إن الفتاة هوجت بهذا الطلب ..
 تسعت عينها وارتجفت شفرتها السفلى ، ثم انطلقت
 لا تلوى على شيء .. أما هو فقد شعر بأنه مسن .. مسن
 بالفعل ..

عاد يمارس عمله شاعراً بأنه لا يعرف ما يعتقد حقاً ..

هل هو مجرد زوج (زالغ العين) ؟ يصعب عليه أن
 يرى نفسه كذلك ، لكن خطاياتا تختلف دوماً عن خطايا
 الآخرين .. لو سرقنا أو قتلنا لوجدنا مبررات كافية تبرر لنا
 هذا أمام أنفسنا .. هل هو مسحور ؟ لا يعتقد .. إنه يعرف
 أنه يملك كامل إرادته .. لم يحمل نفسه أكثر من طائفتها ؟
 ربما واحدة لا تكفى فعلاً .. ما الجريمة فى أن تستعمل حقاً
 أباحه الله لك ؟ لماذا تضيق على أنفسنا ؟ لقد أرهق (أبو
 العلاء المعرى) نفسه فى اللزومات بينما لم يكن لها

مهر .. لكنه على الأكل كان يبرهن عن سيطرته للتامة
على اللغة العربية ، فلماذا تحاول إثباته أنت ؟

فقط هو يرى وجه (برنات) فى لحظة حزنها ..
ووجهها يشطر فؤاده إلى نصفين ..

إنه مثل الضمير يحق .. مثل كانه قتل أطفال مدرسة
لهتافية كاملة ..



فى قريتها من جديد ..

جلس يراقب القبة يتصارعون بالرماح .. بعدما قتلوا
من الأومشيزا .. هذه المرة كانوا يحكون قصة (شلكا
زولو) الذى خاته أخوه (دينجين) ..

تجلس جواره .. تمد يدها فى طبق يحوى مجموعة من
للذور حلوة المذاق وتناوله بعضها .. ثم ضحكت ونست
إحداها بين شفتيه ..

نظيفة .. لطيفة .. رقيقة .. كيف يمكن أن يعتقد يوما
أنها ساحرة ؟

سألها ، وهو يتأمل وجهها فى تدقيق :

- « هذه الكلمات التى تقولينها للمرضى .. هل هى نوع من السحر ؟ »

راحت تعث فى الطبى بأناملها ، ثم قالت :

- « اسمع .. هذا الجزء يقلقت بشكل خاص .. سأقول لك بوضوح إنه ليس سحراً .. إنه تراث متوارث منذ أجيال .. فكر فى الأمر كنوع من التنويم المغناطيسى .. هذا كل شيء .. يجب أن تصدقنى .. أنا لست ساحرة .. أنا فقط ملقحة جداً واستعمل تراث جدودى جيداً . »

ملقحة جداً ! من اللوغد الذى زعم العكس ؟

- « لماذا اختاروا لك اسماً مشتقاً من العرباء ؟ »

نظرت له فى صمت ..

ثم قالت ، وهى تعيد العث فى الطبى :

- « كان هذا نذراً قديمه أبى - (أتكلتكولو) .. نحن لانستعمل هذا الاسم أبداً ، لكن أبى صار مجبراً .. بالمناسبة .. واضح لك أجريت الكثير من الأبحاث عنى .. »

- « لم لا ؟ ما دمت أتكلم عن زواج ؟ »

- « إن لا تصدق كل شيء يقال لك .. هناك من يكرهني ، لأنه جاء من قرية تعادي قريتنا .. هذا المدعو (بوتليزي) على سبيل المثال .. دعك من البوير ! لأن كراهيتهم مفهومة .. »

ثم نظرت في عينيهِ ، وقالت :

- « هو (بوتليزي) .. أليس كذلك ؟ لا بد لمن يخلق قصة كهذه أن يكون من الزولو .. »
- « آية قصة ؟ »

- « ما دمت تعرف موضوع الحرباء ، فأنت تعرف موضوع الموت والخلود .. »
ثم عادت إلى الصمت ..

نظر (علاء) إلى ساعته فوجد أن الوقت قد تأخر .. لا يريد قضاء يوم آخر ثملاً من تأثير السحر .. هكذا قرر أن يسألها السؤال الأخير قبل أن يرحل :

- « لم تردى بالإيجاب على موضوع الزواج .. »

- « القرار صعب فأنت متزوج يا ككتور »

- « يا (علاء) .. »

- « وزوجتك طاهرة الذيل يا (علاء) وأنت تحبها .. بالنسبة لنا لا مانع من أن أكون زوجة ثانية .. نحن ننظر لهذه الأمور بشكل مختلف ، لأن هذا يعنى أن الأعباء توزع على اثنين .. لكنى أفكر فى تلك البائسة التى ستفقدك لمجرد أننى موجودة .. »

ثم نهضت ونفضت ثوبها ، وقالت :

- « لن أقبل إلا إذا قلت لى هاتفيا بلغة واضحة أنها موافقة ! »



قل يتقلب فى الفراش حتى الصباح .. واضح أن هذا سيكون يوماً أسود آخر .. لكنه لا يجسر على أن يخبر (برنات) .. ماذا يقول لها ؟

نهض من النوم شاعراً بأنه كان فى حلبة مصارعة يتلقى ضربات الأحذية .. لو كان هذا شكل من يصحون من النوم

فالنوم اختراع مؤذ .. لقد كان أكثر نشاطاً عندما يغسل
الفراش .. وتذكر استاذة المصري الذي كان يقول : كل
الأمراض حتى السرطان ينهض فيها المريض من النوم
أحسن حالاً .. ما عدا مرضاً واحداً هو الاكتئاب ..

كان هذا قبل أن يصف العلم مرضاً جديداً هو اختناق
النوم Sleep Apnea ..

هكذا قل يعمل في الوحدة وهو لا يكف عن سرقلة كداح
القهوة أو ابتلاع الأسبيرين .. من سوء طالعته أن اليوم
طويل جداً ..

قال له (مكفادين) ، وهو يربت على ظهره :

« أنت في ألين حال .. لولا نقص الأطباء اليوم لطلبت
منك أن تأخذ إجازة باقي اليوم .. لكن ما باليد حيلة .. »

كن مرهقاً فهذا يغدو اليوم أطول وتتراكم الحالات وتقع
أحداث لا تقع كل يوم .. هي قاعدة لا تخيب ..

وعند المساء فرغ من عمله ، فمشى لا يدرى كيف
تحمله سائقه نحو المسكن .. لا عشاء .. لا يستطيع ...

كان مضطراً للمرور أمام مدخل الوحدة الرئيس للذهاب
للمسكن كما فى كل وحدة (سافارى) فى كل مكان .. عند
مدخل الوحدة رأى سيارة الإسعاف وزحاما ..

كان عدد من الممرضين أكثر من اللازم يحتشد هناك ..
والمحفة تنزل .. ثم رأى فى الضوء الخافت الراقد عليها ،
والذى تحول وجهه إلى عجين ..

إنه (بوثليزى) .. الممرض الذى لا يطيق البيض إياه !

شق الزحام ليقترب منه .. فرأى بين المتزاحمين طبيب
طوارئ أسبانياً يعرفه .. سألته عما حدث فقال
الأسباني بالإنجليزية الدينة ، وهو يضع أنامله على نبض
الممرض :

« لا نعرف .. وجدوه بهذا الحال قرب الوحدة .. إنه
فى غيبوبة ولا أستبعد أن يوجد شرخ فى قاع الجمجمة »

نظر (علام) إلى الوجه الذى أحاط اللون الأسود بعينيه
ورأى للسائل الراقى يتنفق من الأثنين وفتحة الأنف ..
لا يحتاج الأمر إلى أشعة مقطعية .. هذا شرخ فى قاع
الجمجمة فعلاً ..

وسرعان ما تحرك، المشهد الحزين إلى الداخل ..

لم يجد نفعًا للحاق بهم .. إنه مرهق جدًا وسوف يزيد متاعبهم ، وهم أكفأه جدًا لن يحتاجوا لعونه ..

هكذا صعد إلى غرفته وبذل ثيابه وهو يندن بصوت خافت :

« عار على الجبان الذي يظل في كوخه حتى يحترق .. اخرج وقتل .. هيه هيه يى يى يى ! »

كان موافقًا على الصلاة كما نعرف عنه ؛ لذا حاول أن يصلي وألقا فلم يستطع .. توجه إلى المنضدة وصلى جالسًا .. دعا الله أن يقبله من هذه الوحدة النفسية ، وبعد دقيقة كان في الفراش الذي يطو ويهبط ..

يطو ويهبط .. يطو و

فجأة هب من النوم مذعورًا .. (بوتليزى) ؟ لماذا هو بالذات ؟ ..

- « إنن لا تصدق كل شىء يقال لك .. هناك من يكرهنى لأنه من قرية تعادى قريتنا .. هذا المدعو (بوثليزى) على سبيل المثال .. »

ثم نظرت فى عينيه ، وقلت :

- « هو (بوثليزى) .. أليس كذلك ؟ لا بد لمن يختلق قصة كهذه أن يكون من الزولو .. »

★ ★ ★

انتقام المرأة للحرباء لا يتأخر ..

فى الصباح وجدها تقف جوار فراش مريض تركب له المحلول .. رآته فهتفت فى مرح :

- « ساكوبونا دكتور ! لقد تأخرت فى تركيب المحلول لكنى لم أتأخر كثيرا »

لم يقل شيئا .. فقط أشار إلى المكتب فى نهاية العنبر
فى تلحق به .. لم يكن (مكافلين) هنا لحسن الحظ ..
هكذا اتجهها هناك ..

نظرت له فى قلب متسائلة عما هناك ، فقال :

— « (بوثلجى) .. إنه فى العنابة المركزة .. ربما
ملت .. وجدوه وقد تحول إلى عجين قرب للوحدة .. »

عضت شفتها السفلى فى ألم ، وهتفت :

— « يا للحسرة ! كيف حدث هذا ؟ »

قال ضاعطاً على كلماته :

— « أنت أبرى .. لول من أمس قلت إنه بعاديك ويلصق
بك الاتهامات .. أمس يجنونه وقد تحول إلى كيلو من اللحم
المفروم .. فقط قولى لى .. هل تحرش به بلطجية أم أن
سحر المرأة للحرباء قوى لهذا الحد ؟ »

اتصت عيناها رعباً ، فهتفت :

— « لا تقولى إنها صدفنة من فضلك .. لن أحمل
لكثر .. »

— « ولماذا أفعل هذا ؟ »

— « لأنه يلصق بك الإشاعات ويتهمك بالسحر .. أنت
قلت هذا .. ربما كان هذا يعطل زواج (أونواها) من
الأحمق التالى »

قلت فى تحد :

- « أنت عرضت على الزواج وكنا طلبت منك التنازل ..
لم لكن لما بل أنت .. »

- « ربما كان هذا مجرد إتقان للدور .. »

نهضت ، وقلت فى حزم :

- « أنت جئت يا دكتور .. واغفر لى وقلحتى .. »

واستدارت مغادرة الغرفة ..

لم يكن متأكدًا من شيء .. إلا شيئًا واحدًا لو شئنا
للحقة : لقد خسرها للأبد ..



الشاب (محمود لطفى) مع صديقيه (عماد) و (شرف)
يجوبون شوارع (ليربان) ليلاً .. الثلاثة من المنصورة ،
والثلاثة من قوات حفظ السلام .. صدفه غريبة قربت بينهم
كثيراً .. لكنهم الليلة ليسوا فى العسل ، لذا يجوبون المدينة
بثيابهم المدنية ..

كان يحكى لهم عن الطبيب المصرى الشاب الذى قابله
منذ أيام هنا ، والذى يعانى مشكلة غريبة من نوعها ..

- « ربما نلقاه هذه الليلة .. إنه يعمل فى هيئة طبية ..
نسيت اسمها .. اسم له علاقة بالوحوش .. لم أسمع عنها
قط من قبل .. لقد جلس على رصيف الميناء وراح يركى
كالأطفال »

كان هذا غريباً بالنسبة لـ (أشرف) .. إن النساء
كثيرات ولا تختلف واحدة منهن عن الأخرى .. لو وجد
أى فارق لتزوج منذ سنوات ..

فجأة يظهر ذلك الرجل القصير المنفر من زلقى جاتى
ويسألهم بالإنجليزية :

- « هل ترغب العادة فى قضاء الأمسية ؟ ملكة جمال
جنوب إفريقيا شخصياً .. يمكنكم مقابلتها والرقص معها .. »

تبادل الفتية النظرات .. كانوا قد جابوا العالم فقبلوا هذا
الرجل فى كل ركن من الأرض .. ملكة جمال (تاوان) ..
(ناميبيا) .. (طوكيو) .. (أمستردام) .. نفس الملامح
للخسيسة واللهجة التى تشى بالنصب ..

قال (أشرف) وقد بدا عليه سمع من يريد التسلية :

- « دعنا نرى ملكة الجمال هذه .. »

هتف (محمود) :

- « كف عن هذا .. ما زلت مراهقاً .. أنت تعرف أنه

قوله .. ليس هذا فحسب بل هو نصاب كذلك .. »

قال (أشرف) ، فى إلحاح :

- « فتر .. ملكة جمال (تايوان) كانت تقرب إلى فرد يضع

شعراً مستعاراً .. لا بد أن هذه توفيت منذ عشر سنوات ..

سوف نمرح كثيراً .. »

هكذا مشى الشبان الثلاثة وراء الرجل إلى داخل الزقاق

المظلم .. ولم يتأخروا كثيراً حتى يدركوا أن هذا كمين .. هناك

أربعة رجال يقفون بالداخل وفى أيديهم مراوات أو مدى ..

وحين نظروا للوراء رأوا أن الدائرة انغلقت ..

- « ساعات .. هواتف .. مال .. أى شيء .. »

لكن الاختيار كان خاطئاً هذه المرة ، لأن الفتية الثلاثة

لا يلتفتون إلى القوة .. وهم ضباط جيش ويجيدون فنون

القتال الفيليتية .. دعه من أن أحدهم مسلح .. النصيحة
التي يجب ألا تنساها لو قررت أن تكون قاطع طريق هي :
للثياب المعدنية لا تدل على ضعف صاحبها ومسالمة ..

هكذا ما إن اعتادت عيونهم الظلام حتى انقضت الثلاثة
على مهاجمهم .. وبيد خبيرة تمكن (محمود) من
ثني معصم مهاجمه واستزاع المدينة من يده ، قبل أن
يهوى على مؤخرة عنقه بسيف يد .. أما (صلد) فالتطلى
بوجه الركبات في الظلام .. قبل أن يمد يده في جيبه ويخرج
مسدسه .. ويصرخ بالإنجليزية :

« مكلك !! »

ربما لم يصل النداء بهذه السرعة فصبوب المسدس
للسماء وأطلق طلقة واحدة بليغة جداً .. كانت هذه
هي الإشارة كي يفر الرجل القصير المنظر بسرعة الريح ..
لكن أمر هذا لم يعد مهماً على الإطلاق ..

في ذات اللحظة كان (أشرف) سبب المشكلة وكفر عن
خطأه .. لقد حطم أنف اثنين من الفتيه ..

- وهكذا جاءت الدقيقة التالية لقرى الفتية السود وقد تفارق
شملهم بين ملقى على الأرض لو من ينظر إلى المسدس
فى هلع ..

نظر (عماد) إلى (محمود) وهو يصوب المسدس على
السود ، وقال :

- « إتهم من اقزولو .. هذا واضح .. استدع الشرطة
بينما أتيهم أنا هنا .. »

فتية المنصورة الثلاثة كئبتوا إتهم ليسوا سهلى الهضم
إلى هذا الحد .. .

★ ★ ★

سوف ألقاكم غداً لأستكمل القصة .. سوف تكون للتالية
الأخيرة هذه للمرة .. فلا تتخلفوا عنها .

★ ★ ★

الليلة الثانية عشرة

مرحباً بكم ..

كان (علاء) يجلس في المكتب الموجود في الضريح يراجع بعض تذاكر المرضى .. عين على التذاكر وعين على الفيزال الرشيق الذي يتنقل كالطيف بين أسرة المرضى .. ما هذا السخف الذي تورط فيه ؟؟ كيف خسرها بهذه السهولة لمجرد أن هناك من ضرب (بوتليزي) ؟ هل هي مسئولة عن سلامة الرجل ؟ لقد بنى جبلاً من الأوهام وهو ذا قد خسرها تملأ ..

فجأة ! نلى جرس الهاتف فرفع السماعة ..

جاءه صوت عامل التحويل يطلب منه أن ينتظر .. ثم صوت مقطوعة موسيقية من مقطوعات (صندوق النسي) للعملة تلك ..

بعدها اتلح كالسيل صوت يقول بالعربية :

- « د. (علاء) .. هل هذا أنت ؟ »

- « من ؟ »

- « (محمود) .. (محمود لطفى) .. هل نصيت ؟ »

انتفض (علاء) وقد تنكر الصوت ..

- « ألم تسافر بعد ؟ »

- « سوف نتحرك إلى (وينوك Windbok) فجر الثلاثاء ..

لقد أتعبني هذا الرقم الذى أعطيته لى .. أنا فى (بيربان)

الآن .. هناك شيء طريف حدث لى ورفاقى أمس .. يشبه

ما حدث لك . »

وحكى له محاولة الاعتداء تلك .. فقال (علاء) ، وقد

استعاد تلميحات كنيية :

- « كان عليكم أن تكونوا حذرين .. »

- « (عمر الشقى بقى) .. المهم أن هؤلاء القوم تكلموا

فى المخفر .. عدهم سبعة .. إخوة من إحدى قرى الزولو

شديدة الفقر سيلة السمعة .. قرية تقع قرب (توجيلا

فيرى) .. لقد اعتادوا التربص بالغرباء .. لكن نهايتهم

جاءت على أيدينا .. ألم أقل لك إن أصغر شاب فى

المنصورة يظفر بعشرة منكم معشر (للشبراوية) ؟ »

- « كان الحد خمسة .. يبدو أنك مصاب بحالة غلام
مستمرة .. »

عاد الفتى يقول بمرح :

- « المهم .. اعترفوا بجرائم كثيرة .. آخرها الاعتداء
بالضرب على ممرض في الوحدة التي تعمل فيها .. قالوا الفتاة
(سافاري) فتكررتك على الفور .. من الغريب أن شقيقهم
ممرضة في ذات الوحدة التي تعمل فيها أنت ! كانت تجوب
شوارع (بربان) لاختيار الضحية الثرية المناسبة ..
أحياناً كانت تستخرج الضحية بنفسها .. خذ الحذر .. يبدو
أنك تعمل وسط تنظيم عصائى محكم .. لهذا اتصلت بك .. »
كان يتكلم لكن (علاء) لا يسمع حرفاً ..

فقط يراقب الغزال الإفريقى الذى خرج من الدغل وجوب
العنبر يوزع الرحمة على كل فراش ..

ولا يعرف متى انتهت المكالمة ..

ولا متى وضع السماعة ..

دون أن يرفع عينه عن التذاكر ، قال لها بصوت خفيض :

- « لقد قبضوا على إخوانك ! »

نظرت له في ذعر ولم تفهم ..

للعقد الذي أهداه لها غلف على صدرها .. ما زال يخلو
غير عالم بما يحدث ..

- « لكني لست .. »

- « لقد انتهت المزحة .. اعتقد أن الشرطة ستقبض
عليك حالاً .. لقد أجبت إخفاء كل هذه التفاصيل .. لم
تكوني تلك الحرياء في الأساطير بل كنت حرياء حقيقية ..
لكني لا ألهم لماذا قتلت بقلبي .. »

نظرت له طويلاً .. ساد صمت رهيب ..

سوف تتكلم ..

هذه هي اللحظة ..

جلست كمنومة ، وقالت كأنها تعلم :

- « الفقر .. الفقر هو اسم للعبة .. نحن فقراء جدًا والزولو لا يحملون لنا وداً مفقوداً .. يتهموننا بأننا سحرة ولصوص .. ثم هذا الاسم الكريه الذي أحمله والذي زاد الطين بلة .. لكنى صممت على أن أتعلم .. صرت معرضة ، لكن هذا لم يحل إلا مشكلتي لنا .. كان على أن أساعد أسرتي .. جرب إخوتي هذه الطريقة في استدراج السياح فوجدوها ناجحة ، وأقنعوني بأن أعمل معهم في أوقات فراغي .. في ذلك اليوم لم يكن لي دخل بالموضوع .. أقسم لك .. لقد ظفروا بك .. كنت قريبة حسب دوري في الصلوات فوجدتك تزحف خارجاً من الزقاق .. كنت أحمل لك كل احترام وتقدير ، ولم أتحمل أن يحدث هذا لك أنت بالذات .. لذا فعلت كل شيء ممكن حتى أُنقذك .. تبرعت لك بدمي .. كل ما فعلته من أجلك كان اعتذاراً عما فعلناه بك .. وعندما دعوتك لقربتي كنت أعرف أنك لن تنكر أي وجه .. طلبت من إخوتي أن يهروك .. يروك الجنب الأسطوري البطولي للزولو بعدما أروك الجنب المظلم لهم .. تذكر يا (علاء) .. كنت متأخرة دائماً عن كل موعد وهو ما أساء إليّ ، لأنه ألصق بي تهمة الخرباء .. لكن هناك موعداً واحداً فقط لم أتأخر عنه .. موعدك .. كنت هناك في الموعد المناسب كي أنقذ حياتك »

قال ، وهو يرتجف انفعالا :

- « كنت تكذبين وتركتيني أتعلق بك »

- « لو لاحظت لوجدت أنني لم أعرض الزواج ولم أحاول دفعك إليه .. أنت طلبت وأنا تجنبت الإجابة .. صدقتي .. ما كنت لأخدعك أنت بالذات .. »

- « وهذا البائس (بوتليز) .. »

- « ليس بائعا .. لم يكن قط .. لا عمل له إلا تشويه سمعتي واتهامي بأنني حرياء أممية .. لقد أخبرت إخوتي بما كان منه فقررُوا أن يؤنبوه .. إنه من قرية تتأصب قرينتا العداة منذ ربع قرن .. هو لم يمت ولن يموت .. لا يستحق هذا الكرم .. لقد حرص إخوتي على أن يتعذب فقط .. لكنه قاومهم بصف فحدث ذلك للكسر في الجمجمة وسوف ينجو منه »

ثم قالت ، وهي تنهض :

- « فقط تذكر .. ليس الزولو جميلا مثنا .. الزولو أشجع وأبطل محاربي القارة .. فلا تغير فكرتك عنهم .. هذا يهمني بحق .. »

وتوقفت على الباب ، وقالت :

- « تذكر كذلك .. هناك موعد واحد فقط لم أتأخر عنه ..
موعدك .. والسبب هو أنني ... »

ونظرت للأرض وهمست بكلمة ما لم يتبينها ..
مدت يدها إلى عنقها ونزعت الطرد .. وبحركة رشيدة
ألقت به على المكتب أمامه ..
ثم رفعت رأسها ، وهتفت :

- « صالاداشي !

ولم يرها قط ولم ترها للوحدة بعد هذه المحادثة ..

★ ★ ★

كان يرتجف وهو يشق طريقه بين الأطباء ..

(مكفادين) يناديه وقد ازداد وجهه الأحمر احمراراً :

- « (علاء) .. لا تترك العنبر .. نحن نريدك في ... »

لكنه يتركه ويشق طريقه .. يصطدم بنائبة المدير (هان
بيرين) ..

تقول له في حزم :

- « ماذا تفعل هنا الآن ؟ ليس هذا وقت الجولات ياكتور ..
فلتعد إلى .. »

لكنه يزيحها ويواصل المشي وهو يرتجف ..

المدير الأسود يسأله متلفاً :

- « هل تناسيت الحياة في وحدتنا هذه ؟ إنا ... »

لكنه يتركه ويواصل طريقه ..

عند كابينة الهاتف يقف .. بيد ترتعش يمس العصابات

وينتظر حتى تأتي الحرارة .. يطلب الرقم الطويل ..

صوت (برنانت) يتكلم من الطرف الآخر :

- « (علام) .. هل أنت بخير ؟ (علام) .. لم لا ترد ؟ »

لكنه لا يرد فعلاً ..

إنه يحتضن سماعة الهاتف ويكي كطفل ..

طفل تغلت عنه أمه ..

مرحباً بكم من جديد ..

أنا (كوتانجا) الذى تعرفونه باسم (مزى) ..

ليس من بينكم إلا من يعرفنى ويحب قصصى ..

(مزى) .. الرجل العجوز الحكيم بلغة السواحلية ، الذى يملك زاداً لا ينفد من القصص .. من أجل هذه القصص تصبرون يوماً بأكمله على الفقر .. على السغب .. على القيظ .. على تقلبات السياسة ، لأنكم تعرفون يا أهل (مومباسا) أنه عندما يأتى المساء سيكون (مزى) جالساً على جذع السنديانة المقطوع وهو يمضغ التبغ ويحكى ..

هلموا يا أبناء الشمس .. اليوم يحكى لكم (مزى) قصة أخرى ..

تمت بحمد الله

سافاري

مغامرات طبيب شاب يجاهد
لكي يظل حياً ولكي يظل طبيباً

روايات
مصرية
الحبيب

زولو

كانوا نموذجاً للقوة والعنفوان .. أجسامهم الصلبة
السوداء مبللة بالعرق في ضوء اللهب ، بينما
المنشدون يرددون :

« عار على الجبان الذي يظل في كوخه حتى
يحترق .. اخرج وقاتل .. هيه هيه ي ي ي ي ي ي ! »
تقول له (أونوابا) :

« إنهم أشرس المقاتلين طراً .. لا تكسب عداوتهم
أبداً .. كن صديقهم يعطوك كل شيء .. »



د. أحمد خالد توفيق

الرواية القادمة

حكايات من النقال

الظمن في مصر ٢٥٠

وما يعانك بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية
في المنطقة الصناعية بالقاهرة رقم ج. ١٧٧١

٠٩٢٨٢٠٢ - ٠٩٢٨٢٠٢ - ٠٩٢٨٢٠٢